داود سلمان الشويلي

أسطورة جودر

عقدة "جودر" والتحرر من سلطة الأم
دراسة تحليلية في تأثير أسطورة الصياد
"جودر" في الأدب

الكتاب: عقدة "جودر" والتحرر من سلطة الأم - دراسة تحليلية في تأثير أسطورة الصياد "جودر" في الأدب.
المؤلف: داود سلمان الشويلي.
الصنف: دراسات.
الطبعة: الأولى.
سنة الطبع:٢٠٢٢.
حجم الورق: ٢١ ×١٥ سم
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٩٢٦) لسنة ٢٠٢١.

تصميم الغلاف: مطبعة الحسام.
الاخراج الداخلي: مطبعة الحسام.
الناشر مطبعة الحسام للطباعة.
عنوان المطبعة: ناصرية – شارع الحبوبي – الفرع المقابل لفرع مأكولات الكنز.
الهاتف: ٠٧٨٠٦٦٧٧٤٠١

جميع الحقوق محفوظة
لايسمح باعادة اصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة معلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر. ان الآراء الوليدة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي المطبعة.

مدخل:

لم يكن كتاب (ألف ليلة وليلة) في يوم ما كتاب تسلية فحسب بل كان ولم يزل سِفراً كبيراً وعظيماً زاخراً بالكنوز الأدبية والفكرية والسياسية والاجتماعية التي لم تصور الإنسان العربي في زمن معين فحسب، بل إنه رسم النفسية العربية والشخصية العربية بكل خلجاتها النفسية وتطلعاتها الإنسانية بما احتواه هذا السفر الكبير من حكايات وأساطير.. وقد كان هذا البحث رحلة استكشافية في واحدة من أساطير هذا السِفر... هي أسطورة الصياد "جودر" التي أسست لواحدة من العقد النفسية التي يحتاجها التحليل النفسي على صعيدي الطب النفسي، والتحليل النفسي الأدبي... والسطور القادمة في هذا البحث ستجلي لنا كل معميات هذه الأسطورة.

***

ولما كان المجتمع الذي ظهرت فيه الأسطورة، خاصة في كتاب الليالي، هو المجتمع الاسلامي، فان تأثير الدين الاسلامي على انشائها كان واضحا وذلك من خلال:

- ان الآم خط أحمر، كما يقول السياسيون في وقتنا الحاضر، لا يمكن المساس بها تحت تعاليم القرآن الذي يذكر: ((وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)). (الاسراء:٢٣)

فلا يجوز شرعا تعريتها من ملابسها. وكذلك، لا يجوز شرعا قتلها.

صحيح ان الأعراف العامة، والقوانين الوضعية، في المجتمعات ذات الديانات الابراهيمية، والمجتمعات ذات الديانات غير الابراهيمية، تمنع، وتحرم، حدوث ذلك إلا ان الدين الاسلامي، نص قرآنه على عدم جواز القيام بذلك حتى بلفظة "أفّ".

لهذا نرى اسطورة "جودر" يتم فيها قتل الأم معنويا، أي قتل شبحها.

***

في هذه الأسطورة يمكننا أن نقرأ فيها مسألة انتقال المجتمع من سيادة وسيطرة الأنثى، إلى سيادة وسيطرة الذكر، على الرغم من انها كانت قد تخلصت من الذكر/الأب قبل وقوع التحوّل، ومن ثم تم التحوّل إلى الابن، أي إلى الذكر. كما حدث في اسطورة "أورست" الإغريقية.

***

ولما كان الدارسون يجمعون بين الأساطير والأحلام وإلى حد ما الخرافة في إناء واحد، فان الأحلام تعبير عن الجانب اللاعقلاني أو اللامعقول في شخصياتنا، فيمكن أن نعد هذه الأسطورة حلما، حيث تتجلى الدوافع غير المعقولة والكامنة في أنفسنا، ومن صورها ما فعله جودر بأمه. في الأسطورة نعدّ سطح ماء النهر هو الحد الفاصل بين عالم اليقضة وبين عالم النوم. إذ دخول جودر تحت سطح الماء يشبه تحوّل الانسان من عالم اليقضة إلى عالم النوم، فيخضع، عند ذاك، العالم الخارجي إلى سلطة العقل الباطن، وتتحوّل الأمور الواقعية، والحقيقية، إلى أمور غير واقعية، وغير حقيقية، فتحدث الأمور التي مرت بجودر تحت سطح الماء ذاتها في الحلم. وهكذا تتماهى الأسطورة بحلم النائم.

إذن يمكن عدّ هذه الأسطورة حلما رآه جودر في منامه في زمن كان هو يصارع، داخل نفسه، البقاء في كنف الأم، أو الخروج من ذلك. وقد تم له الخروج، فإستقل عن أمه دون أن يسيء لها.

***

نص أسطورة الصياد جودر[1]

(1) اشترك هذا البحث في ملتقى السياب الثالث المقام في جامعة البصرة في ١٩٩٣/٥/١٥. وكذلك فقد تم إلقاؤه على حدائق اتحاد أدباء ذي قار – ضمن المنهاج الثقافي للفرع.

يقول التاجر المغربي لـ "جودر":

((اعلم أنني متى عزمت ألقيت البخور نشف الماء من النهر وبان لك باب من الذهب قدر باب المدينة بحلقتين من المعدن فانزل إلى الباب واطرقه فإنك تسمع قائلاً يقول: من يطرق باب الكنوز وهو لم يعرف أن يحل الرموز؟ فقل أنا جودر الصياد ابن عمر فيفتح لك الباب ويخرج لك شخص بيده سيف ويقول لك: إن كنت ذلك الرجل فمد عنقك حتى أرمي رأسك، فمد له عنقك ولا تخف فإنه متى رفع يده بالسيف وضربك وقع بين يديك وبعد مدة تراه شخصاً من غير روح وأنت لا تتألم من الضربة ولا يجري عليك شيء. وأما إذا خالفته فإنه يقتلك. ثم إنك إذا أبطلت رصده بالامتثال فادخل حتى ترى باباً آخر فاطرقه يخرج لك فارس راكب فرس وعلى كتفه رمح فيقول: أي شيء أوصلك إلى هذا المكان الذي لا يدخله أحد من الأنس ولا من الجان؟ ويهز عليك الرمح، فافتح له صدرك فيضربك ويقع في الحال فتراه جسماً من غير روح وإن خالفت قتلك، ثم أدخل الباب الثالث يخرج لك آدمي وفي يده قوس ونشاب ويرميك بالقوس فافتح له صدرك ليضربك ويقع قدامك جسماً من غير روح وإن خالفت قتلك ثم أدخل الباب الرابع واطرقه يفتح لك، ويخرج لك سبع عظيم الخلقة ويهجم عليك ويفتح فمه ويريك أنه يقصد أكلك فلا تخف ولا تهرب منه، فإن وصل إليك فأعطه يدك فمتى عض يدك فإنه يقع في الحال ولا يصيبك شيء ثم أطرق الباب الخامس يخرج لك عبد أسود ويقول لك من أنت قل له أنا جودر فيقول لك إن كنت ذلك الرجل فافتح الباب السادس، فتقدم إلى الباب

وقل له: يا عيسى قل لموسى يفتح الباب، فادخل تجد ثعبانين أحدهما على الشمال والآخر على اليمين، وكل واحد يفتح فاه ويهجمان عليك في الحال، فمد إليهما يديك فيعض كل واحد منهما في يد وإن خالفت قتلاك ثم أدخل الباب السابع وأطرقه تخرج لك أمك وتقول لك مرحباً يا ابني أقدِم حتى أسلّم عليك فقل لها خليك بعيدة، اخلعي ثيابك. فتقول يا ابني أنا أمك ولي عليك حق الرضاعة والتربية، كيف تعريني؟ فقل لها إن لم تخلعي ثيابك قتلتك. وأنظر جهة يمينك تجد سيفاً معلقاً، فخذه واسحبه عليها وقل لها اخلعي فتصير تخادعك وتتواضع إليك فلا تشفق عليها حتى تخلع لك ما عليها وتسقط، وحينئذ تكون قد حللت الرمز وأبطلت الأرصاد، وقد أمنت على نفسك، فأدخل تجد الذهب...))[٢].

انتهى هذا القسم من أسطورة "جودر الصياد ابن عمر وأخويه" ويعتبر هذا القسم هو النواة التي دارت حولها الأسطورة، حيث وضعه مُنْشِئُها في الوسط بعد أن تحدث عن جودر وأمه وأخوته في البداية... أما القسم الثالث والأخير من هذه الأسطورة، فقد تحدث عن "جودر" بعد أن يغتني بالمال. إن هذا القسم المهم سيكون ميدان بحثنا هنا.

***

(٢) ألف ليلة وليلة- ص٩٥٧.

تفكيك النص

- عوالم النص:

من خلال قراءة هذا القسم من النص الأصلي، يمكن التعرف إلى عالمين، أحدهما العالم الأرضي، والآخر العالم السفلي "العالم المجهول" الذي يقع تحت قاع النهر، ويبدأ من الباب الأول وينتهي عند مكان الكنز، ماراً بالأبواب الأخرى.

إن الانتقال من العالم الأرضي إلى العالم السفلي "الآخر=المجهول= الحلم" لا يتم إلا بعد جفاف النهر، أي إزالة طبقة مادية – رغم شفافيتها- وهذا يعني بالمفهوم الشعبي/ الأسطوري، إن الانتقال هذا يتم بكل يسر وسهولة لما في ذلك التفكير من اعتقاد سائد بحقيقة وجود هذا العالم، وكذلك عدم مجهوليته. إن العالم المجهول، كما تؤكد الدكتورة نبيلة إبراهيم[٣] ((لا يبتعد كثيراً عن العالم المعلوم في الحكاية الخرافية، بل هو قريب منه كل القرب، فإذا رحل البطل إليه فإنما انتقل من مكان لآخر، لا لأن هذا المكان المجهول قريب منه، وأنه يستطيع أن ينتقل إليه في خفة ورشاقة فحسب، بل لأن هذا العالم ليس مجهولاً بالنسبة له)).

***

- الشخوص:

هناك نوعان من الشخوص في هذا النص نوع يعيش في العالم الأرضي "المعلوم"، وهم من لحم ودم: "التاجر،

(٣) قصصنا الشعبي – ص١٢١.

الخدم، جود لار، وآخرون"، أما النوع الثاني، فهم يعيشون في العالم السفلي "المجهول" حيث نجدهم عبارة عن أشباح رغم صورتهم الإنسانية أو الحيوانية. إنهم يتهاوون الواحد بعد الآخر عند امتثال جودر لأوامرهم، ويختفون عن الوجود، انهم: "أجسام بلا أرواح". هذه الشخصيات هي:

*الشخصية الأولى: شخص بيده سيف =إنسان.
*الشخصية الثانية: فارس يمتطي صهوة جواد وعلى كتفه رمح= "إنسان+ حيوان".
*الشخصية الثالثة: آدمي وفي يده قوس ونشاب= إنسان.
*الشخصية الرابعة: "سبع" عظيم الخلقة= حيوان.
*الشخصية الخامسة: عبد أسود= إنسان.
*الشخصية السادسة: ثعبانان= حيوان.
*الشخصية السابعة: الأم= إنسان.

إن شخوص العالم السفلي، تتخذ لها صوراً إنسانية أو حيوانية، ولا فرق بين الصورتين، طالما كل واحد منها يحاول منع "قتل" جودر. أي إنها تحاول التأثير عليه ومنعه من الوصول إلى الكنز، لا لكي تحافظ على ذلك الكنز منه وإنما لتختبره. ومن الجدير بالذكر أن "العبد الأسود" لم تكن مهمته منع "قتل" جودر وإنما كان دوره في ذلك استفزازياً، توجيهياً. فهو يسأل جودر قائلاً: ((إن كنت ذلك الرجل فافتح الباب السادس)).

كذلك فإن الشخصية، وعلى خلاف وظيفتها في أغلب الأساطير والحكايات والقصص الشعبي نجدها هنا تقف خلف الباب لا أمامه. أي إنها لم تكن شخصيات "حارسة" وإنما هي شخصيات "ممتحنة" إنها تمتحن قدرة جودر من خلال توجيه الأوامر/الأسئلة له.

من المعروف أن شخصيات العالم السفلي = المجهول، هي شخصيات قابلة للتحول من صورة إلى أخرى. لهذا

يمكن قبول صورها السبع المتنوعة في هذا النص "خمسة شخوص إنسانية واثنتان حيوانية". أرى أن القاص الشعبي لهذا النص قد قام بعملية استبدال لهاتين الشخصيتين فجعلهما في صورة حيوانية "على الرغم من كون جميع الشخصيات عبارة عن أشباح" لإعطاء بعض الفاعلية التهويلية//التشويقية لنصه هذا. لكن تشخيصات "تفسير الأحلام" تسعفنا برد مثل هذه الصورة الحيوانية إلى صورتها الإنسانية. ذلك لأن التفكير الشعبي يجعل من عوالم الأحلام امتداداً للعوالم الواقعية، حيث يفسرها، فيتداخل عالم الحلم بعالم الواقع. في كتاب تعبير الرؤيا لابن سيرين، نجد أن هذا العالم يفسر رؤية الأسد "السبع" على أنه: عدو مسلط ذو سلطان وبأس شديد (ص٤٤) فيما يفسر رؤية الثعبان "الحية" على أنه: عدو كاتم العداوة مبالغ فيه (ص٤٥). وهكذا تستقيم الصورة الإنسانية لشخوص العالم السفلي في هذا النص.

- مشهد العالم السفلي:

يبني واضع الأسطورة، المشهد في العالم السفلي على أساس التكرار، أي تكرار الفعل سبع مرات. أي أنه يقسم المشهد العام إلى سبع مشاهد صغيرة يفصل فيما بينها باب يقف خلفه كائن ما. إن تكرار المشهد سبع مرات متأت من أن التفكير الشعبي مولع بالرقم سبعة، لمرجعية أسطورية/ دينية. فطبقات السماء سبع، والأرض تقع في سبع طبقات، والأيام في الأسبوع هي الأخرى سبعة.. الخ[٤] وبتقسيم هذه المشاهد يتكون لدينا الجدول التالي:

(٤) ربما تفسير ذلك – رأي قابل للنقاش- أن الطفل عندما يبلغ سن السابعة، عليه أن يخرج من نطاق سلطة الأم (كنفها) للدخول في معترك الحياة.

تسلسل المشهد	رقم الباب	مكان الشخصية	الشخصية	سلاح الشخصية
الأول	١	خلف الباب	إنسان	سيف
الثاني	٢	خلف الباب	إنسان+حيوان	رمح
الثالث	٣	خلف الباب	إنسان	قوس+نشاب
الرابع	٤	خلف الباب	حيوان	لا يوجد
الخامس	٥	خلف الباب	إنسان	سؤال استفزازي
السادس	٦	خلف الباب	حيوان	لا يوجد
السابع	٧	خلف الباب	إنسان	لا يوجد

ومن الملاحظ أن أغلب الشخصيات التي تقابل جودر في محاولاتها لمنعه/قتله تحمل سلاحها الخاص.. عدا "السبع" و(الثعبان) فإن سلاحهما هو "الأكل، العض" أما الأم فقد استبدلت الأسطورة مالك السلاح، وجعلت ملكيته عند جودر ليهدد به أمه... بالعكس من الشخصيات الست السابقة التي كانت هي مالكة لسلاحها. بعد هذه القراءة "التفكيكية" إن صحت التسمية، لمغامرة جودر في العالم السفلي يمكننا الاقتراب إلى ما تشكله عقدة الأم، أو عقدة جودر في هذه الأسطورة.

***

-أسطورة جودر ودلالاتها النفسية والاجتماعية:

تحاول أسطورة جودر أن تعطي دلالاتها النفسية والاجتماعية من خلال قراءة العلاقة المهيمنة التي تربط بين جودر وأمه. واستنطاق محاولة الخروج من هذه العلاقة للوصول إلى أو "الدخول في" مرحلة الرجولة بعد قتل شبح/ وهم الأم في العالم السفلي "عالم اللاشعور" ذلك لأن الطفل وحتى سن متقدم يظل واقعاً تحت هذه الهيمنة، وربما يبقى هذا المهيمن متسلطاً لا شعورياً على الابن بعد

الزواج.. وإن التحرر من دائرته يتطلب استعداداً خاصاً، وعملاً شجاعاً. إن ما قام به جودر من فعل تجاه الأم "شبحها" بعد تعريته لذلك الشبح بعد الباب السابع، هو الطريق للفوز بالكنز "=الحياة= الرجولة=الاستقلال". لأن القضاء على شبح/ وهم الأم داخل النفس البشرية معناه ((نضج الشخصية السيكولوجية للفرد. فعلى المرء أن يقتل داخلها الصورة الذهنية المزيفة ليجد الأمان، لأن ذكريات الطفولة والتردد والحيرة عوامل تعرقل سعادة الإنسان، والتزام الأم بمنعه من التحليق عالياً بجناحيه))(٥). إن قتل شبح// وهم الأم، معناه قتل "المهيمن" الكبير على الابن/ الرجل. وأن التحرر من هيمنة هذا الشبح/الوهم، أمنية يتمنى تحقيقها شخصان آخران تربطهما علاقة وثيقة بالابن هما:

٣-١-آ/شخصية المرأة/الزوجة... حيث إنها تتمنى أن يتحرر زوجها من هيمنة إرادة الأم على إرادته.. إذا علمنا أن راوي هذه الأسطورة هي المرأة/الزوجة شهرزاد وهي عندما تروي هذه الأسطورة، فإنها تحاول وضع الأماني موضع التنفيذ، تنزلها إلى أرض الواقع، أي أن يتحرر الابن/الرجل/الزوج من هيمنة/ سلطة الأم ليتجه إلى هيمنة/سلطة، أو على أقل تقدير إلى كنف الزوجة، لكن المرأة/الزوجة، نسيت إنها ستصبح في يوم ما أماً، مما يجعلها وهي تبحث عن زوجة لابنها القادم تقف وجهاً لوجه أمام امرأة أخرى تحمل نفس الأمنية تلك في قتل ذلك الوهم/الشبح الذي ستكونه.

(٥) الإسلام والجنس – ص٣٠٢.

٣-١-ب/ شخصية الأب.. الذي هو الآخر، يحمل نفس الأمنية في أن يقتل الابن شبح/وهم الأم في نفسه. إنه يرغب في أن يجد ابنه رجلاً كامل الرجولة، متحرراً من هيمنة/ سلطة الأم ودلالها "الزائد" وأيضاً يرغب في قرارة نفسه ألا يساعد أمه عليه في أي أمر يقع بينه وبين الأم. إن دور الرجل/الأب، في العائلة هو دور تسلطي على الأم والأبناء في الوقت نفسه خاصة في مجتمعاتنا الشرقية منذ مئات السنين لأن مجتمعاتنا هي مجتمعات أبوية، وأن المرأة/الزوجة فيها مسلوبة الإرادة ومغلوب على أمرها، هي أداة للمتعة والإنجاب إنها كائن بيتي يعيش في الظلام مما يدفعها إلى احتضان أبنائها الذكور منهم خاصة أنهم يشكلون عندها الجدار الصلب في حمايتها من نزوات الرجل/ الزوج المشروعة وغير المشروعة، إن كان ذلك في تركها، أو هجرانها أو طلاقها... ((فمنذ وقت سحيق وحدت الأم وأطفالها الجهود ربما دون وعي وبشكل مبهم للالتفاف حول سلطة الأب الغاشمة بحثاً عن التعويض فإلى جانب ما يمثله الأطفال من تأمين للاستقرار وللمستقبل، فهم أيضاً بمثابة قرون للاستشعار بالنسبة للأم، والحياة اليومية غنية بأمثلة المشاركة بين الأم وأطفالها في تنفيذ مؤامراتهم الصغيرة.. والطفل يعي جيداً أهمية الخدمات التي يؤديها إلى أمه وعادة ما يكون بارعاً في أدائها.. فهو يعلم مقدماً قدر العرفان الذي سيلاقيه.. ولكن يظل أبرز ما في الأمر هو شعوره العميق بالالتفاف من حول سلطة الأب، والثأر منه من خلال تلك المؤامرات الصغيرة الآمنة نسبياً))[٦].

من هذا نستنتج أن للرجل/ الأب دوراً في وضع هذه الأسطورة ضد المرأة/الأم كي يدفع أبناءه للتحرر من هيمنة

(٦) المصدر السابق – ص٢٩٥.

إرادة الأم وتسلطها، أي انفراط علاقة الأم- الابن لتعاد الهيبة إلى علاقة الأب- الابن.. عند ذلك يعيدهم إلى سلطته بعد سحب البساط من تحت أقدام المرأة/ الأم. وبهذا تتجرد المرأة من سلاح قوي تهدد به الرجل/الزوج/الأب.. وهكذا تقف المرأة/الزوج في صف واحد مع الرجل/الأب في خلق هذه الأسطورة، لأن هدفهما واحد وكل واحد منهما يدفع بجودر إلى أن يطلب من أمه أن تتعرى أمامه أي يكسر الحاجز النفسي الذي يقف أمام الابن في محاولته الخروج من سلطة الأم.. وعندما تتوسل إليه في أن يتركها بعد أن لم يبق على جسدها سوى ما يستر عورتها أمامه، يذعن لتوسلاتها ناسياً نصيحة المغربي، عندها تصيح قائلة: "قد غلط" وتطلب من الآخرين ضربه وطرده خارج الأبواب. لنتساءل هل هذه الصيحة، هي صيحة الأم أم إنها صيحة المرأة/الزوجة، وكذلك صيحة الرجل/الأب؟

أرى إنها ليست للأم لأنه مهما يكن من حال الابن، فإن الأم لا تقبل بانفصال ولدها عنها. إنها صيحة المرأة/الزوجة التي وجدت في وقوع زوجها في الخطأ حالة تتطلب العقاب.. وكذلك هي صيحة الرجل/الأب لنفس الأسباب.. فكان الضرب والطرد من مكان الكنز، ومن ثم إعادة المحاولة مرة ثانية في العام القادم. وربما يسأل سائل إن كان الكنز الذي يحصل عليه جودر هو للتاجر المغربي. وهذا صحيح لكن الوصول إليه ومن ثم إخراجه من تحت قاع النهر، كل ذلك بحد ذاته مغامرة تدفع بالتاجر إلى مكافأتِهِ بالكثير.. إن وصول جودر إلى الكنز ومن ثم إخراجه لـه دلالاته النفسية/ الاجتماعية. لما فيه من دلالة رامزة إلى الرجولة.

إذا كان جودر قبل أن يتعرف على المغربي قد عاش مع أمه التي كانت مهيمنة كبيرة عليه، فإنه بعد عودته إلى

المدينة عقب حصوله على الكنز نتعرف عليه وقد أصبح هو الآمر الناهي في قصره الكبير وكذلك فإنه تولى بنفسه أمر زواجه من ابنة الملك ثم اعتلائه للعرش.. إن صورة الأم أو لنقل صورتها كقوة مهيمنة على إرادة الابن قد اضمحلت في هذا القسم من الأسطورة. وإذا كانت أسطورة "أوديب" قد عاقبت "أوديب" بالعمى فإن أسطورة جودر قد عاقبته بالموت على يدي أخوته "سالم وسليم". ولو تصفحنا ما أنتجه التفكير الشعبي من أساطير وحكايات نرى أنها تنتهي نهايات مفرحة لكن هذه الأسطورة نجدها وقد انتهت بمقتل بطلها لهذا أرى إن هذه النهاية لا تستقيم والتفكير الشعبي الذي أنتجها، اللهم إلا إذا كان هذا التفكير واعياً إلى ما فعله جودر من "فضح" لحرمة الأم، مما استدعى إيقاع العقاب به.

وأخيراً يمكن تمثل أسطورة جودر ومحاولته التحرر من هيمنة "سلطة، سيطرة" الأم بثلاث مراحل هي:

المرحلة المشيمية: أي مرحلة ارتباط الابن بأمه كارتباط الجنين برحم أمه بواسطة الحبل السري واعتماده في غذائه على دم أمه الذي يصله من خلال المشيمة وهذه المرحلة هي ما مثله الجزء الأول من الأسطورة.

مرحلة المخاض: وهي المرحلة التي تتم فيها محاولات الابن للخروج من سيطرة//هيمنة الأم.. كمحاولات الجنين ساعة المخاض للخروج من رحم الأم، ومايصاحب تلك المحاولات من آلام عظيمة للأم والمولود على السواء، وقد تمثلت هذه المرحلة في الأسطورة في الجزء الذي تحدثنا عنه في السطور السابقة.

مرحلة الانفصال: والانطلاق خارج رحم "سيطرة" الأم بعد قطع الحبل السري لمجابهة الحياة بعيداً عن الأم.. وقد تمثلت هذه المرحلة في الأسطورة في الجزء الثالث منها.

من خلال هذه القراءة التي قدمناها في السطور السابقة يمكن فهم هذه الأسطورة على أنها الوجه المقابل لأسطورة "أوديب" ولا يمكن فهم جودر بطلها على أنه ((أوديب عربي غير مثقل الكاهل بالخطيئة)) كما يقول مؤلف كتاب "كتاب الإسلام والجنس - ص٣٠٤". لأن "أوديب"يتجه – أو هكذا أراد له القدر- إلى الأم وسلطتها عليه "الزواج منها" فيما كان جودر معني بالخروج من تلك السلطة.

***

عقدتي الأب والأم في الأساطير

-عقدة أوديب/عقدة الأَب:

تحكي الأسطورة الإغريقية عن "أوديبوس" الذي رسم له القدر خطواته المستقبلية حيث قدر له أن يقتل أباه ويتزوج أمه، فكان أن جاء الواقع مسايراً للقدر(٧)

هكذا أفهم أسطورة "أوديب"مع تقديري لما قدم من تفاسير سيكولوجية أو سيسيولوجية –على أنها عملية قتل "صورة" الأب في "لاشعور" الابن/الرجل ذلك الأب أو "صورته" الذي يبقى كالسيف المسلط على رقاب الأبناء.. وتبقى إرادته هي "المهيمن" الكبير على إرادة الأبناء.. ولكي يدخل الابن طور الرجولة الكاملة، الاستقلال بإرادته عن أية إرادة خارجية عليه أن يقتل "يتخلص من.." تلك الإرادة المهيمنة التي جسدتها الأسطورة في شخصية الأب. لكن الأسطورة هذه نسيت أنها عبارة عن رسالة شفاهية عن اللاواقع لتفسر الواقع.. فأخذت تجسد الشخوص لحماً وعظاماً وأحاسيس هي للواقع أقرب.. لهذا وإمعاناً في فرض العقاب على الابن الذي كسر صورة الأب "المهيمن" في نفسه "لاشعوره" أي "الابن العاق" ومن ثم شبّ عن الطوق للحصول على رجولته الكاملة "النفسية والاجتماعية" وجدت هذه الأسطورة أن ترك الابن بلا عقاب هو الإقرار بفعلته والتصديق عليها، عندها فرضت

(٧) هناك نص بابلي يرجعه بعض الباحثين إلى كونه مرجع لأسطورة (أوديب) وهذا الرأي يحتاج إلى دراسة معمقة تؤكد صحة أو بطلان هذا الرأي ((انظر كتاب من ألواح سومر إلى التوراة- ص٢٢٦)).

عليه عقوبة كبيرة هي الزواج من الأم – قدريا ودون معرفة مسبقة منه وعندما يعرف هو تلك الحقيقة يعاقب نفسه بنفسه. إنها عقوبة كبيرة جداً وعظيمة حيث ساوى التفكير الشعبي الإغريقي الذي أوجد هذه الأسطورة بين الخروج من "هيمنة" الأب وبين الزواج من المحارم.. أي أن من يخرج عن إرادة الأب ليبني إرادته الذاتية المستقبلية يكون العقاب له كمن يتزوج من محارمه وعند ذاك أي بالتحرر من سيطرة إرادة الأب، يبقى الابن إنساناً تائهاً "أعمى". إن أسطورة أوديب وكما أسلفنا سابقاً لا تريد للأبناء أن يتحرروا من سيطرة إرادة الآباء.

***

-عقدة أورست/عقدة الأم:

بعد أن تعرفنا على أسطورتي أوديب وجودر وما تمثلانه من عقدتي "الأب" و"الأم" سنتعرف في السطور القادمة على أسطورة أخرى، فهمت على أنها تشكل عقدة تقف بالنقيض من عقدة أوديب كما أراد لها التفكير الشعبي الإغريقي، وكما فهمها التحليل النفسي.. هذه الأسطورة، هي أسطورة "أورست" كما طرحها "أسخيلوس" في ثلاثيته "أجا ممنون" وماطرحته الأسطورة تلك من عقدة، هي عقدة "قتل الأم". بعد موت "أثريوس"، قسمت المملكة بين ابنيه: "أجا ممنون" و "مينيلاسط اللذان تزوجا من شقيقتين، هن "كلايتيمينسترا"، و"هيلين" وكان "مينيلاس" قد زاره "بارس" ابن ملك طروادة، الذي أحب "هيلين" وهرب معها. وكان ذلك السبب في حروب طروادة. وتجمع اليونانيون في "اوليس" تحت قيادة "أجا ممنون". إلا أن مغادرة الحملة تأخرت بسبب هبوب عاصفة. وقد أخبر "أجا ممنون" من قبل متنبئه بأن العاصفة لا يمكن تهدئتها إلا بالتضحية بابنته "أفجينيا". فأرسل بطلبها من أمها بدعوى

أنها ستتزوج من "أخيلس" وقام بذبحها.. عندها أبحرت الحملة إلى طروادة. بعد أن عرفت الأم بذلك، قامت بإبعاد ابنها"أوريستيس"وكان صبياً، وتآمرت مع "أجيشوس" ابن "ثايستيس" ضد زوجها، وعندما عاد الزوج قتلته بالتواطؤ مع عشيقها "أجيشوس". بعد سنوات يستلم "أورستيس" من كاشف غيب "أبولو" أمر بالثأر من قاتل أبيه، فيعود سراً مع صديقه "بيلادس" إلى مدينته ويلتقي بأخته "أيليكترا" وبمساعدتها يقوم بقتل أمه وعشيقها. تعقد محكمة لمحاكمته.. ويبرأ من التهمة(٨).

***

- مناقشة الأساطير:

إن أسطورة أوديب جاءت لتبرهن على أن الإنسان لكي يستقل بإرادته عليه أن يتحرر من الإرادة المهيمنة.. وهذا جانب مهم من جوانب المأساة الإنسانية، مأساة الإنسان في صراعه لإثبات وجوده. أما الجانب الآخر من تلك المأساة هو أن إرادة الأبناء تسيطر عليها إرادة أخرى غير إرادة الأب هي إرادة الأم وهي تعادلها بالقوة والفعل إن لم تقل تجاوزها في ذلك وقد انتبه إليها التفكير الشعبي العربي والإغريقي على السواء وبدرجات متفاوتة سنتعرف عليها في السطور القادمة، حيث سنقف على أي الأسطورتين "العربية أم الإغريقية" هي الأجدر في الإجابة على مجموعة الأسئلة النفسية والاجتماعية المتعلقة بمسألة العلاقة بين الأم وابنها.

إن المهتمين بالأدب الشعبي، وبالتحليل النفسي، وكذلك المهتمين بالأدب عامة وبتاريخه، لم ينتبهوا إلى أسطورة

(٨) نقلت بتصرف من كتاب (أسخيلوس وأثينا) ص٣٢٥.

جودر كما انتبه علم التحليل النفسي إلى أسطورتي "أوديب"و"أورست" فظلت الأسطورة العربية وماتقدمه من كشوفات نفسية – اجتماعية، بعيدة عن عالم الأدب وعلم النفس وظلت مختفية بين سطور (ألف ليلة وليلة) نرددها بين الحين والآخر على أنها قصة مسلية ليس إلا. إن أسطورة جودر هي حكاية الابن الأصغر لأحد التجار[٩] الذي يبقى باراً محباً لأمه، متعلقاً بها، يعيش معها في بيت واحد، على خلاف أخويه.. وكانت الأم قد عانت الكثير بعد وفاة زوجها من ولديها سالم وسليم.. وكانوا كثيراً مايحتالون عليها ويسلبونها مالها، ويضربونها، حتى إنها كانت في كثير من الأحيان "تدعو عليهم بالموت". لكن جودر ظل محباً ومقدراً لها وطائعاً لأمرها، فوجدت فيه الابن البار الذي لا يعاكسها في أي أمر من الأمور. وكانت هي الأخرى لهذه الأسباب تخاف عليه من عاديات الزمن حتى أنها حاولت منعه من الذهاب مع المغربي ((فقالت له: ياولدي توحشني وأخاف عليك)) ص٩٤٥ وهكذا أصبحت هذه الأم قوة مهيمنة ومسيطرة عليه.

عند قيام جودر بصيد السمك لإعالة والدته، يلتقيه التاجر المغربي ويطلب منه أن يرحل معه كي يساعده في الحصول على الكنز الذي لا يمكن الوصول إليه إلا بواسطته بعد أن يحل رموزه فيرحل معه بعد الاستئذان من والدته هكذا تفهم أسطورة جودر عند القراءة الأولى لها.. إنها حكاية صياد فقير يحصل على بعض المال والأدوات السحرية من التاجر المغربي بعد حصوله على الكنز،

(٩) يعطي التفكير الشعبي للابن الأصغر دورا كبيرا في رسم أحداث الحكايات. انظر كتابنا (القصص الشعبي العراقي..) ص١٥٩.

ويمكن لمن يطبق المنهج المورفولوجي على هذه الأسطورة، أن يجد فيها حكاية مبنية على وظائف بروب المورفولوجية.

لكن قراءة متأنية لها يمكن أن تكون القراءة المحتملة للوصول إلى الدلالات التي تحملها هذه الأسطورة والمعاني المختبئة خلف قشرة هذا النص.. كما قدمناه في القسم الأول. إن الدلالات الاجتماعية – السياسية التي تحملها أسطورة "أورست" كما قدمتها مسرحية أسخيلوس كانت هي الدافع لإنشائها حيث جاءت في وقت كان المجتمع فيه منقسماً بين الأخذ بمبدأ المجتمع الأمومي السابق، أو بمبدأ المجتمع الأبوي الذكوري الذي يرغب. ((لهذا نرى أن "الايرينات"[١٠] يقفن إلى جانب النظام القديم الذي كانت فيه القرابة المنحدرة عن طريق الأم رباطاً أوثق من الزواج، وكان يعاقب فيه قتل القريب وفوراً وبصورة قاطعة بحرمان القاتل من الحماية القانونية (.....) ومن جهة أخرى، فإن أبولو الذي كان الاثينيون يعبدونه بوصفه "أبويا" "باترويوس" يعلن قدسية الزواج وأولوية الذكور، وتدور المسألة حول مصير "أوريستيس"والمحنة التي ألقي فيها تعكس صراع الولاءات المنقسمة المميزة للفترة التي كان يجري فيها تغيير النسب لغرض الخلف والإرث المصاحبين له من جهة الأم إلى جهة الأب وسيسجل تبرئته ابتداء النظام الجديد الذي سيبلغ أوجه في الديمقراطية))[١١].

لهذا فإن أثينا ومحكمتها تبرئ ساحة "أوريستيس" لأنها كانت تعطي صوتها إلى أولوية الذكور على الإناث:

---

(١٠) الإيرينات: هي أرواح السلف.

(١١) أسخيلوس وأثينا – ص٣٦٨ وستكون أرقام الصفحات الواردة في المتن من نفس المصدر.

* ((ما من أم ولدتني وفي جميع الأمور
عدا الزواج فأنا وليد أبي في الحقيقة.
أثني على الذكور من كل قلبي)). ص٣٨١

إذن فالأسطورة هي تمجيد لذكورية المجتمع وإعادة المرأة إلى البيت لتبقى تحت سيطرة الرجل /الزوج.

- لماذا قتل أوريستيس أمه؟

من خلال قراءة متأنية للأسطورة يمكننا الوقوف على الدوافع التي تقف وراء قتل أوريستيس لأمه.. وهذه الدوافع هي:

قيام الأم بإبعاده "نفيه" وهذا يعني افتقاده لعاطفة الأمومة.

قيامها بقتل أبيه.. ويشكل هذا العمل جريمة ((لا مثيل لها في تاريخ الخبث النسوي)) ص٣٥٨ ولهذا فإن "أبولو" يدعي ((بأنه لما كان قتل أغا ممنون جريمة، فإن إعدام القاتل لم يكن جريمة)). ص٣٨٠

لما كان أوريستيس وحيد أبيه فإن ذلك يعني أنه سيرث العرش بعد موت والده، لكن الأم بعد قتلها لأبيه "زوجها" سلبت منه هذا الحق.

إنها قد قتلت أبيه بالاشتراك مع عشيقها. من خلال هذه الدوافع نصل إلى نتيجة مفادها أن قتل أوريستيس لأمه كان قتلاً مبرراً قانونياً ودينياً وأخلاقياً واجتماعياً وقتذاك لأن قتلها جاء:

أولاً: تلبية لنصوص القانون السائد وقتذاك، كما كان قتلها لزوجها حسب اعتقادها تلبية للقانون أيضاً.

- ((إن القانون لا يزال باقياً، مادام زيوس حاكماً)).
- ((الآثم يجب أن يعاقب –إنه أمر)). ص٣٤٩

ثانياً: تلبية للأمر الصريح من "أبولو" بأن يثأر لأبيه.. وقد هدده بأقسى العقوبات إن لم يفعل ذلك. وليس له من خيار غير ذلك.
ثالثاً: إن قتلهما "الأم وعشيقها" هو تطهير للأسرة من الإثم، لهذا فأنصار أوريستيس يعتبرونه ((مطهراً أو منقذاً عُيّن بصورة إلهية (....) وعليه، بتطهيره الأسرة، أن يتولى مسؤولية تلوثها بنفسه)). ص٣٥٢

- ((آه هل يرى بعد أوريستيس نور الحياة)).
- ((فلعله يعود بمؤاتاة الحظ إلى بيته)).
- ((ويبرهن على أنه الملك المنفذ حكم الإعدام بكليهما؟)). ص٣٥٠

إن العودة إلى أسطورة جودر ترينا أن القتل لم يتم في الواقع، العالم العلوي، وإنما تم في العالم السفلي، العالم الآخر، عالم اللاشعور، وكذلك تم ضد شبح الأم، لا الأم كما هي، وما يؤكد ذلك:

أ / أن القتل وقع على الشبح/ الوهم.

ب/ أن القتل قد تم في اللاواقع، في العالم السفلي، وهو عالم قريب من عالم الحلم، حيث كل شيء فيه عبارة عن شبح ووهم.

من كل هذا نصل إلى نتيجة مفادها، أن عقدة "أوريستيس" هي عقدة قاصرة في التحليل النفسي لإعطاء الأجوبة الشافية لمجمل الأسئلة النفسية –الاجتماعية التي تكونها حوادث قتل الأم، إن كان ذلك في الواقع أو في عالم الإبداع الأدبي.

لهذا تأتي أرجحية أسطورة جودر على أسطورة "أوريستيس" في حل جميع الإشكالات النفسية والاجتماعية التي تكونها حادثة قتل، أوالشروع بقتل الأم.. وإن مايؤكد هذه الأرجحية، هو إخفاق جودر في قتل شبح الأم في المرة

الأولى، وماعقبه من إجراء عقابي، وإعادة المحاولة مرة أخرى.. كل ذلك في محاولة للخروج من سلطة الأم نهائياً، ومن ثم إكمالاً لحدود رجولته، دون أن يفقد الأم نهائياً، كما فقدها "أوريستيس"بالقتل.

إن قتل الأم، حقيقة، يعاقب عليها العرف والقانون والدين أيضاً، مهما كانت الدوافع والأسباب، خاصة وإن الإسلام، كفكر وتشريع، والذي يقف وراء منتج هذه الأسطورة، ينص دستوره القرآن، وهو مصدر من مصادر ثقافة التفكير الشعبي على النهي عن التأفف أمام الوالدين ((ولا تقل لهما أف))(الآية)، فكيف بالقتل الحقيقي؟

***

التطبيق

بعد أن تعرفنا على عقدة قتل الأم كما طرحها التفكير الشعبي العربي "الأسطوري" في الليالي وقد أطلقنا عليها تسمية عقدة جودر كان على البحث أن يختار نموذجاً من الأدب العربي الحديث ليقرأه قراءة تحليلية اعتماداً على ماتقدمه هذه العقدة من كشوفات نفسية/ اجتماعية لشخصيات العمل الأدبي، فلم يجد – كبداية أولية - سوى رواية الكاتب العربي نجيب محفوظ "السراب" رغم ماقدم عنها من دراسات تحليلية[١٢] وفق منهج التحليل النفسي الفرويدي اعتماداً على عقدتي "أوديب"و"أوريست" فإنها – أي الرواية - تطرح مجموعة من الأسئلة التي في مقدور التحليل المعتمد على عقدة جودر وضع الأجوبة المقنعة لتلك التساؤلات ومن ثم مد يد العون لمعرفة سلوك بطلها "ية رؤبة لاظ".

والجدير بالتنويه ونحن نتحدث عن هذه الرواية، أن نتذكر أن الدكتور عز الدين اسماعيل، قد قدم دراسة تحليلية نفسية لها اعتماداً على عقدة "أوريست"، لكنه –في الوقت نفسه- قد شكك في دراسته تلك بإمكانية هذه العقدة من إعطاء الأجوبة الشافية لمجموعة التساؤلات المثارة حول سلوك بطلها كامل فيقول: ((وحين نستعرض أحداث هذه القصة يبدو لنا أنها لا تتفق في ظاهرها مع قصة بطلنا كامل، فكامل كان يحب أمه، وقد عاش معها طوال حياتها، لكن القصتين تنتهيان نفس النهاية، فكما أن "أورست" قتل

(١٢) التفسير النفسي للأدب - ص٢٥٠.

أمه فكذلك كان كامل السبب في وفاة أمه، إنه لم يقتلها بيده كما صنع "أورست" لكنه يعرف ويقرر أنه كان السبب المباشر في وفاتها))[١٣]. إن إدراك هذه الحقيقة من قبل الدكتور الفاضل، جعله يقرر في مكان آخر (ص٢٦٩) أن شخصية كامل كانت تحمل في دواخلها تناقضات بين "الأوديبية والأورستية" فيما يقول في مكان آخر (ص٢٥٩): ((إن شخصية كامل بطل هذه القصة مزيج من "ديمتري" و "هملت" ومن نفسه))، ليبري نفسه أخيراً مما يقع فيه من سوء فهم أو تقدير في التحليل. ولو تنبه الدكتور الفاضل، وغيره من دارسي الأدب، إلى أن أدبنا الشعبي – لو تخلصنا من عقدة الخواجة- يزخر بين ثناياه بما يعيننا على تفهم أكثر المشكلات النفسية والاجتماعية تعقيداً، لما وقع بمثل هذا الشك. إن عقدة جودر ستعيننا – حقاً- على الوصول إلى تفسير مقنع لسلوك بطل "السراب"، دون الاعتماد على عقدتي أوديب وأورست.

***

(١٣) المصدر السابق – ص٢٦٠ وستكون أرقام الصفحات الواردة في المتن من نفس المصدر.

(١)

رواية "السراب" وعقدة جودر

ملخص الرواية:

تبدأ رواية السراب بالسطور التالية: ((إني أعجب لما يدعوني للقلم، فالكتابة فن لم أعرفه لا بالهواية ولا بالمهنة.. الخ))[١٤]. نفهم من هذه البداية، أن بطل السراب هو الذي يتحدث إلينا من خلال تسجيله لما مر من حياته، بضمير المتكلم، حيث يعود بنا إلى الوراء، إلى أيام الطفولة، أيام كان يعيش في بيت جده مع والدته.. وكانت أمه قد تزوجت من أبيه الرجل الذي كان يعيش "عالة" على والده الثري، وما ورثه من إرث عن عمه.. وقد أنجبت منه ولداً وبنت.. وكان الأب ذاك سكيراً شريراً مما نتج عن سلوكه هذا الكثير من المشاكل بينه وبين أم كامل، فكانت أمه بين الحين والآخر، تترك بيت زوجها لتعود إلى بيت والدها.. وفي مرة أعادها والدها إلى بيت زوجها وطفليها، فكان أن حملت به، وولدته.. لكن المشاكل عادت مرة أخرى، فتم الانفصال النهائي بين الزوجين، فعاش كامل مع أمه في بيت جده مدللاً، وقد زاد اهتمام أمه به للتعويض عن الزوج والأطفال.. حيث نشأ نشأة غير صحيحة، إذ كان ينام مع أمه في سرير واحد حتى سن متأخرة، وكان يدخل الحمام معها.. فنشأ خجولاً، خائفاً، غير قادر على عمل شيء بنفسه.. وكان لسلوك أمه هذا، وتربيتها السيئة الأثر الكبير في زرع الخوف والعجز داخل نفسه، كما فشل في حياته الزوجية. عندما كان طالباً في الثانوي أحب –من طرف

(١٤) السراب. وستكون أرقام الصفحات الواردة في المتن من المصدر نفسه.

واحد- فتاة كان قد رآها وهي ذاهبة إلى المدرسة. بعد أن توظف أخبر أمه عن عزمه في الزواج فانتبهت الأم لما حصل له من تغير وخوفاً منها من انفصاله عنها بالزواج راحت تذكره بزواجها الفاشل (ص١١٢) وما آل إليه من وضع سيئ يعيشانه سوية. لكن رياح الابن تجري بما لا تشتهي سفن الأم إذ يخطب بنفسه الفتاة التي يحبها رباب من أبيها ويتزوج منها والأم كارهة لذلك. وفي ليلة العرس الأولى لم يستطع كامل من عمل شيء مع زوجته وتمضي الأيام بهما دونما تقدم. وبمشورة من أم رباب يوافق كامل على قيام صباح الخادمة بفض بكارة رباب عندها يقول في نفسه: ((ولست أخفي أني شعرت بارتياح إلى اقتراح الأم. فهو يزيل عقبة من سبيلي ويخليني من بعض المسؤولية ويعفيني من مراقبة الأم)) (ص٢٣٤).

حتى هذا العمل الذي قامت به صباح لم يساعده على ممارسة حقوقه الزوجية والقيام بواجباته تجاه زوجته. وتمر الأيام وفي يوم ما يرتاب كامل في سلوك زوجته بسبب خطاب رآها تقرأ فيه (ص٢٦٧).. ويأخذ بمراقبتها أثناء ذهابها إلى دائرتها وأثناء ذلك يتعرف على امرأة بدينة تكبره بالسن تدعى عنايات: ((كانت فوق الأربعين إن صدق نظري – وقل أن يصدق في تقدير الأعمار- وكانت على رغم تألقها وتزينها أقرب للدمامة منها للحسن، ذات وجه مستدير غليظ، وعينين بارزتين ثقيلتين الجفنين، وأنف قصير أفطس، وشفتين ممتلئتين، ووجنتين متكورتين منتفختين.. الخ)) ص٢٨٤.

وتتوطد العلاقة بينهما.. حيث تستطيع هذه المرأة من "حل" عقدته، فيمارس الجنس معها بكل حرية.. وفي يوم ما، تذهب رباب إلى بيت والدها، ولم تعد.. فيذهب للسؤال عنها فيجدها طريحة الفراش.. وذات يوم يزورها، فيفاجأ

بموتها، ويعلم من أهلها أن الدكتور أمين قريبها قد أجرى لها عملية جراحية، فيرتاب في أمر العملية، فيقدم بلاغاً للنيابة حول ذلك.. حيث يكشف التحقيق أن العملية قد أجريت لإجهاض رباب لجنين "سفاح".. ولكي يبعد الدكتور عن نفسه فشل العملية، يحدث ثقباً بغشاء "البريتون" يؤدي إلى وفاتها.

يعود كامل إلى أمه فيجدها مريضة لكنه يخبرها بوفاة زوجته، ويجري بينهما حوار يتهمها فيه بالتشفي من موت رباب ويغلظ معها الحديث، ويخرج من البيت مهموماً بعد أن يقول لها: ((اشمتي ما شاءت لك الشماتة، ولكن إياك أن تتصوري أننا سنعيش معاً، انتهى الماضي بخيره وبشره ولن أعود إليه ماحييت، سأنفرد بنفسي انفراداً أبدياً، لن أعيش معك تحت سقف واحد)) (ص٣٥٤).

يفاجأ في اليوم التالي بموتها، حيث يقع طريح فراش المرض، وإذ يبقى وحيداً، تزوره عنايات.

مثل هذا الملخص البسيط لأحداث الرواية، رغم قربه من الخطوط العامة للأحداث سوف لن يساعدنا على تلمس ما في الرواية من دلالات نفسية واجتماعية حاول الكاتب الوصول إليها، مالم نتعرف على الشخصية الرئيسية فيها، وهي شخصية كامل رؤبة لاظ وسلوكه مع شخصيات الرواية الأخرى التي كانت السبب في مأساته.

***

-العلاقات:

إن القراءة الفاحصة للرواية وأحداثها، ستقدم لنا مجملاً للعلاقات التي تربط كامل بالشخصيات النسائية الثلاث، وتأكيداً لهذه العلاقات، يرى الكاتب- أو كامل نفسه وهو يكتب مامضى من حياته- لم ينضج لنا أية علاقة مابين

نسائه ورجاله، حيث جاءت مثل تلك العلاقات رغم محدوديتها باهتة.

٣-أ/ علاقة كامل مع أمه:

تبدأ هذه العلاقة من السطور الأولى، وتنتهي بانتهاء الرواية.. وتتسم بالسيطرة من قبل الأم على الابن، فيما يكون هو شخصاً منقاداً.

كان كامل يحب أمه ويحترمها، وهي تبادله الشعور نفسه، يعيش معها في بيت واحد، وغرفة واحدة، وينامان في سرير واحد، حتى بلوغه سن السادسة والعشرين من عمره، عندما أنبه جده على ذلك التصرف السيء.. وكان يدخل معها الحمام، وعلاوة على ذلك، فقد كان يشبهها بملامح الوجه.. وكانت هي لا تسمح له باللعب مع أقرانه، ولا الخروج من دونها.. وقد أثرت تلك السيطرة من قبل الأم، وكذلك التربية السيئة على نفسية "الطفل// الشاب" فجعلته:

أولاً: خجولاً (ص٤٥) وعذرياً (ص٦٨).
ثانياً: لا يجرؤ على اللعب مع أقرانه (ص٢٢).
ثالثاً: لا يجرؤ على الحديث مع الآخرين (ص٦٨).
رابعاً: غير قادر على عمل شيء اعتماداً على نفسه (ص٦٠).
خامساً: ليست لـه القدرة على التكيف مع زملائه في المدرسة والدائرة (ص٣٠).
سادساً: هدفاً لعبث زملائه الطلاب، وإهانة مدرسيه (ص٣٢-٣٨-٧٧).

كل ذلك جلب التعاسة له، والانكفاء داخل البيت، ومن ثم أحضان أمه، فنفسه.. لكنه كثيراً ما حاول الخروج عن تلك السيطرة، وذلك الانكفاء.. فها هو يقول: ((إنني لا أستطيع أن أقول أنني استكنت إلى تلك الحياة بلا تململ، ولعلي

ضقت فيها في أحايين كثيرة، وتطلعت إلى الحرية والانطلاق، ولعل ضيقي ذلك مضى يزداد بتدرجي في مدارج النمو، وأي ذلك أنها أقبلت تخوفني أشياء لا حصر لها لتردني عما أتطلع إليه من حرية وانطلاق، ولتحتفظ بي في حضنها على الدوام. ملأت أذني بقصص العفاريت والأشباح والأرواح والجان والقتلة واللصوص، حتى خلتني أسكن عالماً حافلاً بالشياطين والإرهاب، كل مابه من كائنات خليق بالحذر والخوف))(ص١٩). أما أمه، فقد كانت تعيده إلى سيطرتها، بأساليبها الخاصة، لكن مثل تلك المحاولات – خروجه من البيت خلسة واللعب مع أقرانه، وكذلك حبه للفتاة أثناء دراسته في الثانوية وغيرها- كانت تقمع من قبلها، وبنفس الوقت لم يكن ينساها بسهولة، وإنما.. كان لا شعوره يحتفظ بها.. فها هو يقول: ((طالما رفت على خاطري الرغبة في هجرها في صورة أحلام غامضة، ولكن هل يسعني حقاً أن أهجرها؟)). إن رغبته في التحرر من سلطة الأم أخذت تزداد عنده شيئاً فشيئاً حتى وصلت ذروتها عندما طلب يد محبوبته بنفسه ومن ثم الزواج منها ((بمشورة من مجلة استشارها)). رغم هذه السلبية البادية عليه أمام الأم، كان تفكيره ولا شعوره –في الوقت نفسه- يعمل ضد هذه السيطرة، محاولاً الانعتاق منها، أي كانت هناك قوتان تصطرعان في داخل لا شعوره، هما: قوة البقاء تحت تلك السيطرة، وقوة التحرر منها. إن هذا الصراع يبقى جياشاً في لا شعوره حتى لحظة المواجهة الحاسمة مع أمه، بعد وفاة زوجته، إذ عندها ينتهي ذلك الصراع إلى جانب قوة التحرر من تلك السيطرة، حيث بموت الزوجة تموت كل القيم الأخلاقية التي كانت تمثلها الأم وتجسدها الزوجة كصورة من صور الأم. هنا يتماهى كامل بـجودر والأم بأم جودر، ولكن، بينما

كان قتل جودر لشبح// وهم الأم نهاية لذلك الصراع، ومن ثم تحقيق لوجوده كإنسان حر، رجل كامل الرجولة. كان جوهر صراع كامل ومن ثم انتهاء ذلك الصراع بقتل الأم رغم كونه قد جاء بصورة غير مباشرة لكنه من جهة أخرى كان قتلاً مباشراً عند موت الزوجة، وسنتعرف على ذلك في السطور القادمة. وإذا كانت أم جودر قد أحكمت –هي الأخرى- سيطرتها على ابنها جودر بسبب ماعانته من فقد الزوج والسلوك المؤذي لأبنائها، فإن أم كامل قد لقيت هي الأخرى الكثير من العذاب بسبب سلوك زوجها ومن ثم هجره لها.. كل ذلك دفع بهما إلى تعويض مافقدتاه بالتسلط على الأبناء والاستحواذ عليهما، إن كان ذلك لا شعورياً، بسبب الخوف عليهما، أو من خلال ما كانا يقدمانه لهن من حب واحترام زائد.. وكانت قوة الجذب بين التسلط والرضوخ قد أخذت مداها الواسع بصورة طردية. لقد وجد جودر طريقه إلى التحرر والانطلاق بعد قتله لشبح// وهم الأم، وهو قتل معنوي حدث في العالم السفلي "=اللاشعور" وقد فعل كامل مثل فعله في قتل الأم معنوياً، من خلال:

* ممارسة الجنس مع الخادمة الدميمة.
* ممارسة الجنس مع عنايات، وما كانت تمثله من صورة التطابق للأم "في السن خاصة" وصورة التناقض "القبح مقابل الجمال الروحي والجسدي".
* ممارسة العادة السرية، وهذا مناقض للقيم والأخلاق الحميدة التي زرعتها الأم في داخل نفسه، خاصة إقامته للصلاة في أوقاتها.
* شربه للخمرة.

مثل هذه الأعمال السلوكية، وهي أعمال جنسية محرمة، عدا احتسائه للخمرة، هي النقيض لما كانت تمثله الأم من قيم وأخلاق حميدة، وهذا يعني قتل لتلك القيم والأخلاق في

نفسية كامل.. أي أنها قتل الأم في الوقت نفسه في لا شعوره، على أقل تقدير. وهكذا تأتي الأسطورة التي أنشئت في زمن غير زماننا، وفي واقع حضاري غير واقعنا الحضاري في القرن العشرين، لتحل لنا قضية حضارية – نفسية- اجتماعية، إنها قضية التحرر من هيمنة الإرادة الخارجية والتي تجسدت في هيمنة إرادة الأم.

***

- علاقة كامل بزوجته:

إن اختيار كامل لرباب زوجة له، جاء اعتماداً على اعتبارين أساسيين هما:

* أنها تشبه أمه "خلقاً وجمالاً".
* لأن علاقته بها، كانت الأولى من نوعها.

ولم تكن علاقته بها، بالعلاقة السوية بعد ليلة الزفاف الأولى، فقد بدأت حالة القطيعة بينهما –رغم ما يكنه أحدهما للآخر من حب- عندما فشل في أن يكون رجلاً في فراش الزوجية. ولو بحثنا عن أسباب ذلك، لوجدنا أكثر من سبب جعل من هذه العلاقة غير مثمرة، لتصل إلى حد الانقطاع.. ومن هذه الأسباب ماهو موضوعي، ومنها ماهو ذاتي.

أولاً: العوامل والأسباب الذاتية: مثل قدرته على ممارسة الجنس مع النساء القبيحات "الخادمة الدميمة وعنايات" وكذلك ممارسته للعادة السرية، وانكفائه داخل حدود عالمه المتخيل.

ثانياً: العوامل والأسباب الموضوعية: وقد جاءت كلها من تأثير أمه عليه، مثل:

١- تأثير علاقته بأمه في جعله رجلاً ناقص الرجولة أمام زوجته.

٢-الاختيار السريع لرباب زوجة له. حيث جاء هذا الاختيار بدافع لا شعوري كونها تشبه أمه مع بعض الاختلافات الطفيفة.

فوالدته كما بدت له، في الصورة القديمة ((بقامة طويلة وجسم نحيل ووجه مستطيل وعينين واسعتين خضراوين وأنف دقيق مستقيم)) (ص٨) فيما كانت رباب تتصف بـ ((قامة طويلة وقد نحيف رشيق وبشرة قمحية(...) ووجها مستديراً (...) وأنفاً صغيراً دقيقاً)) (ص٨٥) أي إن رباب هي الصورة المطابقة لأمه من ناحية الجمال الجسدي بالنسبة له، مع فارق قليل سنتعرف عليه في وجه عنايات. فالقامة طويلة، والجسم "القد" نحيل "نحيف"، والأنف دقيق مستقيم "صغير دقيق".. أي أن كامل قد اتجه "لا شعورياً" إلى هذه الفتاة عند محاولته التحرر من سلطة الأم، فعاد إليها مرة أخرى.

٣-إن شعوره بعاطفة الحب تجاه رباب من طرف واحد، هو تجربته الأولى والوحيدة مع النساء، خارج حدود علاقته بأمه.. وهذه المحاولة في التحرر من سلطة الأم، قد دفعته مرة أخرى إلى نفس السيطرة، مما يعني أن اختياره لم يكن موفقاً.

٤- كان في صغره، قد شغله سؤال لم يجد إجابة له عند والدته، عندما حاول معرفة سبب هروب شقيقته مع رجل غريب والزواج منه ومن ثم الإنجاب (ص٤٨) إن الجواب عن هذا السؤال، قد وجده عند الخادمه "الدميمة" فهاهو يقول: ((فصارحتني مرة بأنها تعلم أمور خليقة بأن تعرف، وانجذبت إليها على قبحها في اهتمام وسرور، وواجهت التجربة بلذة وسذاجة، على أن العهد بها لم يطل، فما أسرع أن ظبطتنا أمي متلبسين، ورأيت في عيني أمي نظرة باردة قاسية فأدركت أني أخطأت خطأ فاحشاً. وقبضت على شعر

الفتاة ومضت بها فلم تقع عليها عيناي بعد ذلك، وانتظرت على خوف وخجل، ثم عادت متجهمة قاسية، ورمت صنيعي بالمذمة والعار، وحدثتني عما يستوجبه من عقاب في الدنيا وعذاب في الآخرة ووقع كلامها مني موقع السياط حتى أجهشت باكياً. ولبثت أياماً أتحاشى أن تلتقي عينانا خزياً وخجلاً)) (ص٤٩) هذا المقطع – رغم طوله النسبي يكشف لنا الأسباب الخفية التي دفعت بكامل إلى عدم ممارسة الجنس مع زوجته منذ الليلة الأولى لزواجهما. بتضافر هذه العوامل، وأثرها في اللاشعور، أصبح كامل في وضع سلبي مع زوجته، حيث أصبح الجنس، في لاشعوره –عمل غير مقبول من قبل الآخرين بدلالة هروب أخته من بيت والدهما مع الرجل الذي سيشترك معها في جريمة مشابهة لجريمته مع الخادمة. ومثل هذا الفعل //الجرم يستلزم العقاب في الدنيا والآخرة خاصة إذا كانت هذه المرأة التي يمارس معها الجنس رباب تشبه إلى حد ما أمه. فهو-وطيلة أيام حياته- عاش مع أمه، في البيت، وفي الحمام، وفي الفراش، لكنه لم يفكر – ولو للحظة واحدة- أن يمارس – حتى لو كان ذلك في خياله- الجنس معها.

إن العلاقة التي تربط بينهما، هي علاقة الأمومة التي انتقلت بكل عناصرها إلى العلاقة التي كانت لـه مع زوجته، وهذا يعني أن أي اتصال جنسي مع الزوجة معناه الفسق بالمحارم. إذن فالزواج، كمشروع أراد منه أن يحرره من سلطة الأم وهيمنتها عليه، قد فشل فشلاً ذريعاً، وأصبح مشروعاً لإعادته مرة أخرى إلى أحضان الأم دون وعي منه.

***

- علاقة كامل بـعنايات:

لم تكن عنايات سوى الصورة الثانية للخادمة الدميمة، والصورة المعكوسة للأم.. بالرغم من أنها مطابقة لها من ناحية السن إلى حد ما، حيث كانت تداعبه قائلة: ((يا كتكوتي)) (ص٣١٢) كما تداعب الأم طفلها. إن ممارسة الجنس مع الخادمة الدميمة في فترة الطفولة، لا يمكن عدّه إلا عملاً محرماً ومعاقباً عليه، خاصة من قبل الأم، ذلك الشخص المهيمن والمسيطر والموجه.. وأن إعادة مثل تلك الممارسة – حتى لو كان ذلك بعيد عن نظر الأم – مع "عنايات" يعني هو محاولة للخروج من تلك السيطرة. لذا نراه وقد نجح – ليس في التحرر من سلطة الأم نهائياً - وإنما في إعادة الثقة بنفسه، وممارسته لحقوقه الرجولية مع الجنس الآخر، لهذا نراه يعلن عما شعر به من اطمئنان وثقة بالنفس.

***

من كل ماسبق يمكن الوصول إلى: أن العقدة التي كانت تكبل كامل وتمنعه من أن يكون رجلاً على فراش الزوجية، هي خوفه من ممارسة الجنس مع المحارم، بسبب ماكانت تشكله الأم في لا شعوره، من قوة كبح كبيرة أمام حقوقه الرجولية.. فكان لا شعوره يصور له الزوجة وكأنها هي أمه، وأن أية ممارسة مع المرأة القبيحة هو محاولة لتحدي تلك القوة، وكذلك، محاولة للخروج من تلك السيطرة، ولكن كل ذلك لم يغنه شيئاً فما زالت الأم هي المسيطر والمهيمن القوي عليه. إنما ماوصل إليه من حالة الخوف والعجز وعدم قيامه بواجباته الزوجية، كان بفعل قوة هيمنة الأم، وأن هذا العجز قد دفع بزوجته إلى أحضان رجل آخر، ومن ثم الموت المخزي ليس للزوجة فحسب، بل للأم وما تمثله من قيم. أي أن موت الزوجة قد جاء ليمثل موت الأم،

عندها تأتي خاتمة تلك الأم، أي خاتمة للقوة المسيطرة والمهيمنة.
وإذا كان في الأيام الماضية، قد فكر في خياله فقط، في أن يترك أمه، أي الخروج من سيطرتها، فإنه اليوم قد أصبح في حالة لا يحسد عليها بوجود هذه الأم، لهذا نراه يهرع إليها، ليسمعها كلاماً جارحاً وقاسياً، عندما تطلب منه أن يرحمها من هذا القول القاسي.. فيما كان هو يؤكد مع نفسه قائلاً: ((ولكني لم أرحمها)) (ص٣٥٣).. وقبل أن يتركها يخبرها بقراره الأخير: ((اشمتي ماشاءت لك الشماتة، ولكن إياك أن تتصوري أننا سنعيش معاً. انتهى الماضي بخيره وشره ولن أعود إليه ماحييت)) (ص٣٥٤).

بهذه الكلمات دفن كامل أمه وهي حية أي أنه قتلها لأنه كان يشعر في قرارة نفسه أن أمه قد ماتت بموت زوجته، لأن في موت رباب والذي كان فيه كامل سبباً غير مباشراً، كان ذلك الموت موت للأم، وإن في ذلك الموت السبيل إلى الانطلاق والحرية.. وفي اليوم الثاني يسمع بموتها عندها يتهم نفسه بقتلها وكما قتل جودر شبح // وهم أمه فقد قتل كامل شبح // وهم أمه، عندما كان هو السبب في ماوصلت إليه حالة الزوجة، ومن ثم موتها. هناك سؤال يلح في هذه السطور، هو هل عوقب كامل على جريمته هذه، أم لا؟ مثل هذا السؤال، نجد إجابته في القسم الأخير من الرواية، حيث يمرض ويدخل في غيبوبة تامة يقول كامل: ((لا علم لي بالساعات الطوال التي قضيتها في غيبوبة تامة، ولكن ثمة أوقات أخريات كنت أتخبط في ظلمات بين الغيبوبة واليقظة، إنها دنيا غريبة معتمة تتوزعها الأحلام، فكان يداخلني شعور أنني حي، ولكن حي كميت وهناً وعجزاً... الخ))(ص٣٦٣) هذه الحالة، يمكن تشبيهها بحالة النقاهة، النقاهة بين المرض "الوقوع تحت سلطة الأم" والشفاء منه

"والتحرر من تلك السيطرة" وعودة لما قلناه سابقاً، فإن بداية تململ كامل وانزعاجه من سلطة الأم بعد ارتياده الحانات وزياراته الفاشلة لبيوت الدعارة، وهي أعمال لا يمكن عدها تحدياً جدياً لسلطة الأم، نقول أن بداية ذلك التململ قد تجسد في علاقته بـعنايات الصورة المضادة لصورة الأم، أي أنها تجسيد للأم// الوهم، الأم// الشبح، وإن ممارسة الجنس معها، هو عمل يشبه تعرية جودر لأمه.

إن الأم في السراب قد انقسمت في لا شعور كامل إلى قسمين، أحدهما: روحي وقد تجسد في رباب، والثاني: جسدي//مادي وقد تجسد في عنايات. فها هو يقول: ((وزاد من حيرتي أنني شعرت شعوراً عميقاً بأنني لا غنى لي عنهما معاً بل لم أجد سبيلاً إلى المفاضلة بينهما فهذه روحي وتلك جسدي وما عذابي إلا عذاب من لا يستطيع أن يزاوج بين روحه وجسده. وماذا تكون قيمة الدنيا بغير هذا الوجه الجميل المتسم بالطهر والكمال؟ ولكن ماذا يبقى لي من لذة ورجولة إذا فقدت المرأة الأخرى)) (ص٣٠٩-٣١٠).

إن مأساة كامل قد تمثلت في كيفية الجمع بين الروح والجسد وكلاهما عند أمه، ومايؤكد ذلك مايذكره في أن خياله الذي تراءت فيه كلٌّ من رباب، وعنايات قد "ينحرف": ((بغتة إلى أمي بلا داع فاتخذت مكانتها في شريط هذه الصورة المتلاصقة)) (ص٣١٠).

ولكن الكاتب – لا شعور البطل- قد جسدهما في شخصيتين من لحم ودم وأحاسيس وكان عليه وهو يحاول الخروج من سلطة الأم أن يقضي على هاتين الشخصيتين فكان عجزه الجنسي سبباً في موت الروح =الزوجة. وكانت ممارسته للجنس مع عنايات موتاً للجسد الذي كثيراً ما رآه في البيت والحمام وسرير النوم والذي كان يخاف

منه عندما كانت زوجته تتعرى أمامه إذ يقول: ((لقد بت أخاف جسمها بقدر ما أحبها)).

***

الخلاصة:

مما تقدم يمكن الوصول إلى:

١-إن تراثنا الأدبي القديم لو قرئ قراءة متأنية لتوصلنا إلى ما فيه من كنز ثمين للأفكار والطروحات التي يمكنها الإجابة عن عشرات الأسئلة التي يمكن أن تطرح في زماننا هذا.

٢-إن هذا التراث يزخر، كما التراث العالمي، بالكثير من النظريات والأفكار التي يمكن تشكيلها بصورة متكاملة تجعل منها ليس نظيراً إلى ماطرح في التراث العالمي وإنما أكثر عمقاً واستجابة إلى ما تريد أن تقولـه تلك الأفكار والطروحات العالمية – الإغريقية واليونانية - القديمة. خاصة فيما يتعلق بالطروحات النفسية والاجتماعية المعروفة كعقدة أوديب وأورست.

٣-إن عقدة جودر يمكن عدها من العقد المهمة في التحليل النفسي والتي يمكن من خلالها الوصول إلى نتائج مهمة في تفسير سلوك بعض شخصيات الأعمال الأدبية.

٤-إن عقدة جودر استطاعت – في السطور السابقة - أن تقدم تحليلاً نفسياً لسلوك بطل "السراب" الذي شككت، بعض الدراسات التحليلية له، في أن يكون بمقدور التحليل المعتمد على عقدتي "أوديب"، و"أو رست" من تفسير ذلك السلوك.

***

(٢)
اسطورة جودر و"ما هي الحقيقة ؟"

في الدراسة السابقة درست فيها إحدى الحكايات الألف ليلية التي تقدم عقدة نفسية/إجتماعية كما هي عقدة أوديب، وعقدة أليكترا، في الحضارة الاغريقية والتي أصبحت عالمية، وهي عقدة "جودر" في حكاية "جودر الصياد ابن عمر وأخويه" هذه العقدة هي عقدة قتل الأم، والتي تقف مقابلاً لعقدة أوديب الاغريقية التي تأسس لقتل الأب، ومتشابهة لعقدة "اليكتر" وشقيقتها "اورست" لقتل الأم. وقد تم إكتشاف هذه العقدة أثناء قراءتي لليالي لأجل الدراسة في تسعينيات القرن الماضي(١٥).

وتطبيقاً لهذه العقدة، درست في كتابي ذاك رواية نجيب محفوظ "السراب" إستنادا على هذه العقدة ذات الجذور العربية، وتوصلت الدراسة إلى أن هناك تطابقاً بين شخصية بطل "السراب" كامل رؤبه لاظ، وبين بطل الحكاية "جودر"، من حيث التحرر من سلطة الأم بعد قتلها "مجازا"، والعيش كشخصية سوية في الحياة بعد التخلص من تلك السيطرة.

في هذه الدراسة سنقدم تحليلاً لحكاية "ما هي الحقيقة؟" التي وردت في كتاب "حديث مع الكواكب/ص٤٩" للكاتب توفيق الحكيم مع عقدة "جودر" لنعرف مدى تطابق البطلين وهم يتخلصون من سلطة الأم، نفسياً واجتماعياً، ولكي نقرأ

(١٥) نشرت كتاب عن حكايات الليالي بعنوان (ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية – دراسات – ط١ - اتحاد الكتاب العرب – دمشق – ٢٠٠٠. والطبعة الثانية مزيدة ومنقحة – معهد الشارقة للتراث – الشارقة - ٢٠١٩. والطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة –دار الورشة – بغداد - ٢٠٢٠.

الأسباب التي دعت البطل لقتل الأم حقيقة لا قتل شبحها. اذ يتنوع القتل في الروايات حسب توجه وذائقة الكاتب.

ان قتل الأم في حكاية الليالي "عقدة جودر" يأتي بشكل مجازي، وليس على الحقيقة، كما بينا ذلك في دراستنا لها. اذ أنه في حكاية الليالي يقتل "جودر" شبح أمه الذي يلاقيه تحت ماء النهر خلف الباب السابع(١٦)، وعند مقتلها "ضربها بالسيف" ينفتح أمامه مكان الكنز الذي من خلاله يصبح ثرياً، ويتزوج من ابنة الملك.

في أسطورة"جودر" يقول التاجر المغربي لجودر:((اعلم أنني متى عزمت ألقيت البخور نشف الماء من النهر وبان لك باب من الذهب قدر باب المدينة بحلقتين من المعدن فانزل إلى الباب واطرقه فإنك تسمع قائلاً يقول:من يطرق باب الكنوز وهو لم يعرف أن يحل الرموز؟فقل أنا جودر الصياد ابن عمر فيفتح لك الباب ويخرج لك شخص بيده سيف ويقول لك:إن كنت ذلك الرجل فمد عنقك حتى ارمي رأسك،فمد له عنقك ولا تخف فإنه متى رفع يده بالسيف وضربك وقع بين يديك وبعد مدة تراه شخصاً من غير روح وأنت لا تتألم من الضربة ولا يجري عليك شيء.وأما إذا خالفته فإنه يقتلك.ثم إنك إذا أبطلت رصده بالامتثال.فادخل حتى ترى باباً آخر فاطرقه يخرج لك فارس راكب فرس وعلى كتفه رمح فيقول:أي شيء أوصلك إلى هذا المكان الذي لا يدخله أحد من الأنس ولا من الجان؟ويهز عليك الرمح، فافتح له صدرك فيضربك ويقع في الحال فتراه جسماً من غير روح وإن خالفت قتلك،

(١٦) للرقم سبعة رمزية كبيرة في الحضارات العالمية القديمة وقد تحدثت عن ذلك في كتابي (تجليات الاسطورة - قصة يوسف بين النص الإسطوري والنص الديني- دار ابن النفيس – الاردن – ٢٠٢١.)

ثم ادخل الباب الثالث يخرج لك آدمي وفي يده قوس ونشاب ويرميك بالقوس فافتح له صدرك ليضربك ويقع قدامك جسماً من غير روح وإن خالفت قتلك ثم ادخل الباب الرابع واطرقه يفتح لك،ويخرج لك سبع عظيم الخلقة ويهجم عليك ويفتح فمه ويريك أنه يقصد أكلك فلا تخف ولا تهرب منه،فإن وصل إليك فأعطه يدك فمتى عض يدك فإنه يقع في الحال ولا يصيبك شيء ثم اطرق الباب الخامس يخرج لك عبد أسود ويقول لك من أنت قل له أنا جودر فيقول لك إن كنت ذلك الرجل فافتح الباب السادس،فتقدم إلى الباب وقل له:يا عيسى قل لموسى يفتح الباب،فادخل تجد ثعبانين أحدهما على الشمال والآخر على اليمين،وكل واحد يفتح فاه ويهجمان عليك في الحال،فمد إليهما يديك فيعض كل واحد منهما في يد وإن خالفت قتلاك ثم ادخل الباب السابع واطرقه تخرج لك أمك وتقول لك مرحباً يا ابني أقدم حتى أسلم عليك فقل لها خليك بعيدة،اخلعي ثيابك.فتقول يا ابني أنا أمك ولي عليك حق الرضاعة والتربية،كيف تعريني؟فقل لها إن لم تخلعي ثيابك قتلتك.وانظر جهة يمينك تجد سيفاً معلقاً،فخذه واسحبه عليها وقل لها اخلعي فتصير تخادعك وتتواضع إليك فلا تشفق عليها حتى تخلع لك ما عليها وتسقط،وحينئذ تكون قد حللت الرمز وأبطلت الأرصاد،وقد أمنت على نفسك،فأدخل تجد الذهب))[١٧].

***

ملخص حكاية"ما هي الحقيقة؟":

(١٧)الف ليلة وليلة ص٩٧٥- حكاية"جودر الصياد ابن عمر وأخويه".

أم مزواجة تعيش مع ولديها، احدهما طبيب يعيش بعيدا عنها، والآخر وكيل نيابة يعيش معها، بعد موت الزوج تتزوج من شخص ثانٍ، وبعد فترة تطلقه. وكان عند الابن وكيل النيابة موظف شاب يأتي بالملفات له في بيته، تتعرف عليه وتغريه، ثم تقنعه بالزواج منها، ويتزوجان. يترك ابنها البيت ويسكن في الفندق"تبادل أدوار". بعد فترة يخبره زوج أمه الشاب انها قد ماتت، ويأتي هو وأخوه الطبيب إلى بيتهم، فيعرف الطبيب ان أمهم ماتت مخنوقة، "مقتولة" فيحاول الابن الطبيب ان يخبر الشرطة، إلا ان الابن وكيل النيابة لايوافقه، لأن في ذلك فضيحة لهما. بعد فترة تصل رسالة من الزوج إلى الابن وكيل النيابة تخبره انه هو الذي قتلها، يقول في هذه الرسالة: ((أنا منذ كنت مرؤوسا لك كنت أشعر بضآلتي وتفاهة قدري إلى جانبك...هذا الشعور بالمهانة والضعف هو الذي جعلني أستجيب إلى نظرات والدتك(...)وتوثقت العلاقة بيننا(...)وتصورت في تلك اللحظة ارتفاع قدري في نظر نفسي ونظرك ونظر زملائي يوم أصبح زوجا لوالدتك. كان هذا طبيعيا. فما أظنك كنت تطيق ان ترى بعينيك كيف استطعت السيطرة بقوة شبابي وفتوتي على أمك التي عليك احترامها وتقديسها..وكنت أعرف ان اليوم الذي تتراخى فيه قوتي البدنية هو اليوم الذي تتراخى فيه قبضتي على أمك. وكانت هي تعرف ذلك(...)إلى أن جاء اليوم الذي خشيته. فقد أفرطت في استنزاف قوتي ولم أستطع ان أشبع رغبتها، فإنهالت علي تقريعا، وصارت تقول لي كل ليلة: "يا خيبتك يا خيبتك" فما تمالكت وصحت بها "اخرسي اخرسي" وعاد لي الشعور بالمهانة، وكاد مقامي في البيت يهبط إلى مقام الخدم، وتعاطيت بعض الوصفات، ثم حاولت معها محاولة اخيرة باءت أيضا بالفشل. وضحكت هي ضحكتها

المستهزئة.. وانفجرت بالسباب الفاحش والطعن في رجولتي. فطار صوابي ووضعت كفي على فمها لأسكت صوتها الذي يرن في أذني بأفضع ما يذل الرجل، وعضت هي بأسنانها اصبعي، فأطبقت بكل قوتي على ذلك الفم الذي لا يريد السكوت، إلى ان سكتت فعلا، ووقفت معه كل حركة في جسمها(...)تزوجت ثانية وانجبت بنتا وولدين، (...) تخرجت البنت طبيبة تعمل في أحد المستشفيات وتزوجت طبيبا، أما الولدان فاحدهما اليوم مهندس يعمل في احدى الشركات والآخر، يا للمصادفة، وكيل نيابة!(...)انها سعادة ما كنت لاستحقها)). ص٨٥ – ٩١

هذا ملخص قصير للحكاية التي يرويها الحكيم، ومن خلال دراستها على ضوء عقدة "جودر"سيتضح لنا كيف تنهض هذه العقدة في تصور الدوافع التي أدت إلى قتل الأم، والتخلص من سيطرتها، والفوز بالحياة والسعادة.

***

الدراسة والتحليل:

الحكاية هذه تنهض على شخوص ثلاثة، هم: الأم. الابن. الزوج الشاب.

الأم هي محور الحكاية وشخصيتها الرئيسية، تتزوج من رجلين بسبب رغبتها القوية في الجنس، وهذا أمر مهم. أما الرجل الثالث، الموظف الشاب الذي يعمل عند ولدها وكيل النيابه، فهي توقعه في حبائلها، لما رأت فيه من قوة شبابية ستغنيها عما تبحث عنه. وبالمقابل نجد هذا الشاب وجد في هذه الزيجة الراحة الاقتصادية، والاجتماعية، والمكانة العليا التي ستخرجه من مكانته الدنيا التي كان يعيشها. فها هو يقول في رسالته لابنها وكيل النيابة:((كنت أحس في نفسي الرضا والراحة والتلذذ ان استطعت غزو قلب هذه السيدة العظيمة والدة رئيسي.(...)وتصورت في تلك اللحظة

ارتفاع قدري في نظر نفسي ونظرك ونظر زملائي ومعارفي يوم أصبح زوجا لوالدتك. وتم لي ذلك، ودخلت بيتك زوجا وسيدا مطاعا)).ص٨٧

ولكي تبعد الحكاية عن نفسها امر يعتبره الاسلام محرماً، وهو الزنا بالمحارم، جعل الراوي الشاب من خارج العائلة، فتبادل الابن مع الشاب الأدوار.

أخذ هذا المرؤوس "المجرم كما وقع رسالته" دور الابن في علاقته مع الأم/الزوجة، لفارق العمر بينها وبينه، وكذلك العيش في كنفها، لأن ابنها الحقيقي ترك الدار إلى الفندق، فظل الشاب/الزوج والمرأة فقط، كما كانت سابقا تعيش هي وابنها وكيل النيابة.

إلا ان الأمور لم تجري كما كان يحب، اذ خبت قوته الجنسية فيما هي تريد المزيد، فتصل الحال بها إلى أن تعيّره، يخنقها، فتموت.

إذن أصبح الزوج في الحكاية كالابن، والأم/الزوجة التي تصيح به(يا خيبتك يا خيبتك)، ولكي يتخلص من هذا العار الذي لحقه بانحلال قواه الجنسية، عليه قتلها، لكي يعود منتصرا إلى الحياة، ويعيش بسعادة. وهكذا يتخلص منها بقتلها. وتعود له السعادة، فيتزوج، وينجب ولدين وبنت يعملون في وظائف مرموقة، انه التخلص من سلبيات الحياة، واكتساب ايجابياتها.

رواية السراب تعود إلى مصدرها الأساس وهو الواقع الديني والعرفي العربي في أن تبعد الابن من زنا المحارم، فتجعله يتزوج من فتاة تشبه أمه في الخلقة والاخلاق، فلا يستطع ممارسة الجنس معها، وبالمقابل يمارس الجنس مع مومس مسنة وقبيحة بالعكس من أمه، إلا انها تطابقها في السن، فينجح في ذلك، على العكس من فشله ليلة الدخلة مع زوجته التي تشبه أمه، أي تنقسم الأم عند "كامل"إلى قسمين

أحدهما القسم النضر والجميل وتمثله "رباب" زوجته، والثاني تمثلة المومس المسنة"عنايات".

عندما تموت الزوجة جراء عملية غير موفقة، يقول لأمه كلاماً جارحاً وقاسياً، فتطلب منه أن يرحمها من هذا القول القاسي، فيما كان هو يؤكد مع نفسه قائلاً: ((ولكني لم أرحمها)) ص٣٥٣. وقبل أن يتركها يخبرها بقراره الأخير: ((اشمتي ماشاءت لك الشماتة، ولكن إياك أن تتصوري أننا سنعيش معاً. انتهى الماضي بخيره وشره ولن أعود إليه ماحييت))ص٣٥٤. يهجرها لتموت.

أما في الحكاية التي قدمها الحكيم، فإن الابن هو الذي يجسد شخصيتين فيها، هي شخصية الابن، وشخصية الزوج، تماهي الزوج الشاب بالابن للاسباب التي ذكرناها، كما اخذت الأم في السراب شخصيتين، أحداهما شخصية الزوجة الجميلة، والأخرى شخصية "عنايات" المومس، وكل هذا التجسيد هو بالتماهي بين الزوج والابن في حكاية الحكيم، وبين الأم والزوجة والمومس في رواية محفوظ.

ان ترحيل الابن، وكيل النيابة، إلى ان يكون هو الزوج الشاب، مرده هو هذا الفيتو الاسلامي على العلاقات الجنسية غير الشرعية، وهذا مزروع في لاوعي الكاتب "الحكيم" نفسه، كما في لا وعي جميع كتاب الرواية العرب المسلمين.

ان هذا التماهي "أوالترحيل بين الشخصيات" ليس المقصود منه هروب الدارس في هذه السطور من عدم توافق الشخصية الرئيسية مع "جودر"، بقدر ما هو نوع من المخاتلة التي يمليها علينا الواقع الاسلامي، الاجتماعي والعرفي، هذا التماهي الذي يوصل عقدة "جودر" إلى ان تكون في الرواية والحكاية خاضعة للتطبيق، وهذا الاجراء

خاص بمنهج الدراسة، وليس له علاقة بنص الرواية أو الحكاية.

ان ما تريد أن تصل له الدراسة هو ان الحكايات العربية كما في "ألف ليلة وليلة"، التى أغلبها أساطير، قد أنتجت شيئاً مثل ما أنتجته الأساطيرالاغريقية من عقد إلى الآن تستخدم في مجالات اجتماعية ونفسية وأدبية، وهذا الأمر ليس بسبب عقدة الخواجة التي يتهم بها البعض من الدارسين حين الحديث عن امر عربي موجود في الحضارات أخرى، وانما هو موجود فعلا في حضارتنا التي انتجت الأساطير والحكايات.

ان عقدة "جودر" تقابلها عند الاغريق عقدة قتل الأم المسماة عقدة اليكترا أو أورست،اما في الثقافة العربية فإن هذه العقدة ستكون في متناول الدارسين والمعنيين فأطالبهم ان يستخدموها في مجال علم النفس، ومجال الأدب خاصة، ليكون هناك تلاقح بين الحضارات.

***

(٣)
القصة القصيرة جداً "عقوق" وأسطورة جودر

((وآدم فقط هو الوحيد الذي كان يستطيع ان يتجنب عادة التوجيه المتبادلة هذه فيما يخص خطاب الاخر الذي يقع في الطريق إلى موضوعه، لأن آدم كان يقارب عالما يتسم بالعذرية ولم يكن قد تُكُلّم فيه وانتُهك بوساطة الخطاب الاول)).

- باختين -

كل الطرق، ومن ضمنها طرق السكك الحديدية، تتقاطع فيما بينها في مكان ما، والنصوص الأدبية، وغيرها، كذلك. إذ يلعب التناص، كآلية اجرائية داخل النصوص الأدبية، دورا مهماً في الكتابات الحديثة، رغم انه لعب الدور ذاته في كل الكتابات، أدبية أو غير أدبية، منذ أن دوّن الانسان شيء ما، أو فكر به على شكل خبر، أو حكاية، عدى النشأة الأولى لقول ما قد قيل عن أمر ما كما قال باختين.

ومن الأمور الواجب ذكرها عن علاقة الأم بإبنها، انها تظل مسيطرة على جميع افعاله، وسلوكه، وكلامه، بصورة واعية لهذا الأمر من قبلها ومن قبل ابنها، أو غير واعية لمثل هذا التصرف الذي في بعض الأحيان ينتبه له الابن، وفي هذه الحالة إما أن يعالج هذا الأمر، وإما أن يتركه خشية ان يفقد ما تمثله الأم له، من حب، وحنان، ورعاية، اخلاقية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو ثقافية حتى.

وقد قدمنا دراسات عن العلاقة التي تربط بين الأم وابنها عندما يشب عن الطوق، ومحاولاته للخروج من سيطرتها، حيث وضع الفكر الابداعي العربي، اسطورة تتحدث عن

هذا الأمر، هي اسطورة "جودر" التي ترويها شهرزاد من ضمن حكايات الليالي.

من هذه الدراسات هي مناقشة رواية "السراب" مع هذه الأسطورة في الدراسة الأولى من هذا الكتاب. وكذلك ناقشت، وحللت حكاية "ما هي الحقيقة ؟" لتوفيق الحكيم في الدراسة الثانية. وفي هذه الدراسة، سأناقش، وأحلل، قصة قصيرة جداً مع هذه الأسطورة، لبيان الفائدة التي جنته من هذا النص من خلال آلية "التناص".

ويمكن عد نص القاص طلال سالم الحديثي"عقوق" الذي كتبه كقصة قصيرة جداً، من هذا الأمر، إذ انها تتقاطع وتتناص مع جزء من حكاية/اسطورة "جودر الصياد ابن عمر وأخويه"، كالطرق التي تحدثنا عنها في أول سطور هذا الكتاب.

وبعيدا عن عنوان القصة الذي يحمل البصمة الأخلاقية عند وضع العناوين، والذي يشير إلى فعل أحد الأبناء ضد أحد أبويه، فإن هذه القصة تذكرنا باسطورة جودر الألف ليلية، من خلال تناصهما "تقاطعهما" بأمرين، هما:

- قتل الأم "خنقها" التي ربته صغيرا.
- رمي جثة الأم في النهر.

في الأمر الأول تتقاطع الحكايتين، وفي الأمر الثاني تختلفان، إلا ان نتيجة الاختلاف تبقى هي واحدة، ذلك ان سبب الاختلاف هوالعقل الذي أنتج الفكر، الفكر الذي تحكمه الأسطورة، والفكر الذي طرد الأسطورة والخرافة منه.

***

النص القصصي: "عقوق":

((خنق أمه ووضعها في كيس ورماها في النهر، ثم رفع يديه داعياً: "ربي ارحمهما كما ربياني صغيراً"...)).

***

قبل أن نناقش هذين النصين، الاسطوري والقصصي، علينا أن نذكر ان فنون الأدب السردي، وفنون الأدب كافة، في وقتنا الحاضر، تختلف عنها في أزمان ماضية، مثل ان تكون في زمن حكي الأساطير والحكايات التي دونت في كتاب سمي بـ "ألف ليلة وليلة" شفاهياً، على الرغم من ان فنون السرد في وقتنا الحاضر قد بنيت أساساً على ما كان سابقاً من بناء اسطوري وحكائي مع بعض الاختلافات، أي على نواة حكائية، وهذا الاختلاف سببه التطور في الثقافة والمعرفة، والواقع الذي يكون سبباً في ظهور مدارس أدبية في الفن السردي.

في اسطورة جودر يقتل "جودر" شبح أمه تحت ماء النهر، عندها يتخلص من كل ما يشده اليها، أي يتخلص من تبعيته لها، وسيطرتها عليه.

فالحكاية، أو الأسطورة، في جزئها هذا، تتألف من حركة واحدة، هي:القتل، وتنتج عن تلك الحركة حركة أخرى واحدة أيضاً، هي: التخلص من سلطة الأم، ويتم ذلك تحت ماء النهر.

أما في الق.ق.ج. "عقوق" فان بطلها يقتل "يخنق" الأم، خارج النهر، ثم يقذف بجثتها إلى ماء النهر، فيتخلص منها، بحيث يقرأ بعد رميها في النهر آية قرآنية تؤكد ان الأم "أحد الوالدين" هذه التي قد اعتنت بتربيته صغيراً، أي انها كانت مسيطرة عليه في صغره، وكذلك في صباه، وربما في فترة غير معلومة من شبابه، وقد تخلص من تلك السيطرة، وخرج عن سيطرتها، وسلطتها.

الاختلاف الحاصل بين الأسطورة والق.ق.ج. في هذا الجزء جاء بسبب التغير الحاصل في الثقافة العامة، والكتابة الأدبية عند الأديب، اضافة لما قلناه سابقا عن الفكر الذي ينتجه العقل الأسطوري والعقل العلمي، فكان "جودر" قد قتل شبح أمه وهي تحت النهر، فيما"خنق" بطل قصتنا أمه في الحقيقة، ثم رماها في النهر، أي ان النتيجة النهائية لما حصل للأم هو قتلها.

الآية القرآنية الواردة في الق.ق.ج. "عقوق"، والتي تقول: ((ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا))، تجمع الوالدين، الأب والأم، فيما نص القصة يتحدث عن الأم فقط، وهذا معناه ان بطل النص غير معني بالأب، بل هو معني أساساً بالأم. ونفهم منها، كذلك، ان الأم قد اهتمت بإبنها عندما كان صغيراً، وحتما عندما كان صبيا، وحتى وقت "خنقها"، وهذا معناه، ان الابن قد تخلص من الأم عندما كان في سن يؤهله للخروج من سيطرتها، وسلطتها، والاستقلال بعيداً عنها.

كلنا نمارس هذا الخروج من هيمنة وسلطة وسلطة الأم علينا، إلا النادر من الحالات التي تصل فيها الهيمنة والسيطرة إلى ما بعد الزواج، وربما يبقى إلى وفاة الأم، وقد تكفل بهذا الأمر أخيراً التلفزيون في تقديم "المسلسلات" التي تناقش، وتبدي الرأي فيه.

ان هذه الق.ق.ج. تبرهن على ان هذا الفن السردي قابل لان يمتص بين كلماته، وجمله، الأساطير والحكايات، أو ما يردنا من موروث أدبي، أو غير أدبي، فينهض بالتالي على أسس صلبة، وقوية، فيمنح هذا الأمر دفعة قوية في تطوير الفن السردي المعروف عند المبدعين.

ان آلية التناص قادتنا إلى وجود التأثر ما بين الق.ق.ج. والأسطورة/الحكاية الألف ليلة، وهذا ليس معناه وجود

سرقة بين الاثنين، لأن السرقة لا تتم فقط في الأفكار "المعاني"، بل يجب ان تحدث في الأفكار والألفاظ الحاملة لها، وفي الصياغة.

والجاحظ يقول في "البيان والتبيين" عن المعاني في الشعر، وهي تنطبق عليها في النثر: ((المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وصحة الطبع وكثرة الماء وجودة السبك)).

تخير اللفظ، وصحة الطبع، وكثرة الماء "أي الطراوة والطلاوة"، وجودة السبك، هي المطلوبة، وليس المعنى المطروح في الطريق، وهذا يعيدنا إلى مقولة باختين التي أوردناها في البداية أيضا، فقط آدم لا يتناص مع أحد قبله.

***

(٤)
الأسطورة السومرية "البوابات السبعة"
وأسطورة جودر

كل نص مدون، أو شفاهي، لا ينشأ من العدم، عدا النشأة الاولى له في القِدم، كما نفهم من عبارة باختين السالفة الذكر، بل النص هو عبارة عن تجميع لنصوص سبقته في الانشاء، أو جايلته، أو أخذ من الواقع المرئي أو المتخيل، وهذا ما يسمى في الدراسات النقدية بـ "التناص"، أو"المثاقفة" بين النصوص(١٨).

والتاريخ الانساني حافل بأنواع الصيغ السردية. فهناك الأسطورة، والملحمة، والحكاية، ... الخ، ويمكن أن يتحول نوع سردي من صيغة إلى أخرى، كأن تكون من الصيغة الاسطورية إلى الصيغة الحكاية، مثل مثالنا الذي بين يدي الدراسة.

وكل نص شفاهي يتداول على الألسنة، أو مدون مسطور في كتاب، فيه جزء، أو أجزاء، من نصوص سابقة، أو مجالية له. وحكاية "جودر الصياد ابن عمر وأخويه" من حكايات الليالي، لم تكن قد حكيت شفاهياً، أو دونت كتابياً من عدم، بل انها، وفي جزئها المهم، تأخذ من كتابات، اسطورية مثلا، سابقة عنها، كباقي الحكايات الشفاهية والمكتوبة.

وفي كتابي (ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية – دمشق -٢٠٠١) وفي الفصل الأخير قدمت دراسة موسعة عن اسطورة "جودر" الألف ليلية، وهي الأسطورة العربية التي تقدم حكاية عن"قتل الأم" للتخلص من سيطرتها، وقد

(١٨) راجع كتابنا: الذئب والخراف المهضومة – دراسات في التناص الابداعي – دار الشؤون الثقافية العامة- ٢٠٠١.

قدمنا مثال تطبيقي على هذه الأسطورة من خلال رواية "السراب" لنجيب محفوظ، وفي هذا العام نشرت تطبيق آخر لها على قصة لتوفيق الحكيم.

***

في اسطورة "دموزي" السومرية، تقرر "أنانا/ عشتار" ملكة السماوات، النزول إلى العالم السفلي، فترتدي ملابسها الملكية، وحليها، وعند بوابات هذا العالم، السبعة، يجري تجريدها من ملابسها، وفي آخر باب، الباب السابع،تصبح عارية، فيسلط عليها حكماء العالم السفلي "عيون الموت" فتتحول إلى جثة هامدة. وبعد حركات سردية تخرج لتجد زوجها "تموزي" الذي تسلمه إلى العالم السفلي(١٩).

وفي حكاية الليالي "جودر الصياد ابن عمر وأخويه" يقول التاجر المغربي لجودر:

((اعلم أنني متى عزمت ألقيت البخور نشف الماء من النهر وبان لك باب من الذهب قدر باب المدينة بحلقتين من المعدن فانزل إلى الباب واطرقه فإنك تسمع قائلاً يقول: من يطرق باب الكنوز وهو لم يعرف أن يحل الرموز؟ فقل أنا جودر الصياد ابن عمر فيفتح لك الباب ويخرج لك شخص بيده سيف ويقول لك: إن كنت ذلك الرجل فمد عنقك حتى ارمي رأسك،فمد له عنقك ولا تخف فإنه متى رفع يده بالسيف وضربك وقع بين يديك وبعد مدة تراه شخصاً من غير روح وأنت لا تتألم من الضربة ولا يجري عليك شيء. وأما إذا خالفته فإنه يقتلك. ثم إنك إذا أبطلت رصده بالامتثال. فادخل حتى ترى باباً آخر فاطرقه يخرج لك

(١٩) منعطف المخيلة البشرية- بحث في الأساطير- صموئيل هنري- ت:صبحي حديدي- دار الحوار- ص١٧.

فارس راكب فرس وعلى كتفه رمح فيقول: أي شيء أوصلك إلى هذا المكان الذي لا يدخله أحد من الأنس ولا من الجان؟ ويهز عليك الرمح، فافتح له صدرك فيضربك ويقع في الحال فتراه جسماً من غير روح وإن خالفت قتلك، ثم ادخل الباب الثالث يخرج لك آدمي وفي يده قوس ونشاب ويرميك بالقوس فافتح له صدرك ليضربك ويقع قدامك جسماً من غير روح وإن خالفت قتلك ثم ادخل الباب الرابع واطرقه يفتح لك، ويخرج لك سبع عظيم الخلقة ويهجم عليك ويفتح فمه ويريك أنه يقصد أكلك فلا تخف ولا تهرب منه، فإن وصل إليك فأعطه يدك فمتى عض يدك فإنه يقع في الحال ولا يصيبك شيء ثم اطرق الباب الخامس يخرج لك عبد أسود ويقول لك من أنت قل له أنا جودر فيقول لك إن كنت ذلك الرجل فافتح الباب السادس، فتقدم إلى الباب وقل له: يا عيسى قل لموسى يفتح الباب، فادخل تجد ثعبانين أحدهما على الشمال والآخر على اليمين، وكل واحد يفتح فاه ويهجمان عليك في الحال، فمد إليهما يديك فيعض كل واحد منهما في يد وإن خالفت قتلاك ثم ادخل الباب السابع واطرقه تخرج لك أمك وتقول لك مرحباً يا ابني أقدم حتى أسلم عليك فقل لها خليك بعيدة، اخلعي ثيابك. فتقول يا ابني أنا أمك ولي عليك حق الرضاعة والتربية، كيف تعريني؟ فقل لها إن لم تخلعي ثيابك قتلتك. وانظر جهة يمينك تجد سيفاً معلقاً، فخذه واسحبه عليها وقل لها اخلعي فتصير تخادعك وتتواضع إليك فلا تشفق عليها حتى تخلع لك ما عليها وتسقط، وحينئذ تكون قد حللت الرمز وأبطلت الأرصاد، وقد أمنت على نفسك، فأدخل تجد الذهب)).(ألف ليلة وليلة- ص٩٥٧).

نجد ان الحكاية الألف ليلية تأخذ من الأسطورة السومرية هذه الموتيفة، أو الجزء الحكائي، الأبواب السبعة، والمرأة

التي تموت، أو انها، أي الحكاية الألف ليلية، أخذت من حكاية أخرى متأثرة بالأسطورة السومرية، لأن الأساطير والحكايات و"السوالف" و"الحدوتات"هي المادة التي يقتات عليها الانسان في كل مكان أثناء التوقف عن العمل والجلوس للراحة، والاستجمام، والاستماع من الأخرين للحكايات، والقصص، والسوالف، والحدوتات، وشيء من التاريخ، في البيت أو النادي "بيت الندوة" مع الأصدقاء والخلان.

ان الجزء الحكائي"البوابات السبعة، والمرأة المقتولة" هما موتيفات اسطورية / حكائية أوجدهما، حسب ما وصلنا لحد هذه الساعة، السومريون الذين سكنوا جنوب العراق قبل ٥٠٠٠ سنة تقريباً، لأن قبل هذا التاريخ لم نجد ما يشير إلى مثل هذه الموتيفات، لا في أساطير الشرق، ولا في أساطير الغرب، ولا في أساطير الأمريكيتين، ولا في استراليا، أي في العالم كافة.

ان الانتقال من العالم المعلوم "الحياة الدنيا" إلى العالم المجهول، العالم السفلي، عالم الأموات، "الحياة الآخرة"، وبالعكس، كما تصورته المخيلة السومرية، يتم بسهولة ويسر، وهذا يحدث دائما في الحكايات والاساطير، ولكنه يسلك الطريق الصعب، كما ان الخروج منه أيضا، أي التحرر منه، يمر بطريق صعب، اذ يتم في هذه الأسطورة، وبوجود المساعد، بعد خلع كافة الملابس، ومن ثم الموت، العودة إلى الحياة بوجود البديل.

إذن الفكرة الرئيسية هي: بموت شخص يحيا آ|خر، مع بعض التغير والتبدل للفرق الذي يقع بين الأساطير وباقي أنواع الحكايات بمسميات عديدة، وهذا الخيال السومري "ترجم" في الليالي إلى قتل "شبح" الأم لكي يتخلص البطل من القيود التي تشده اليها.

ان هذه الموتيفات الأسطورية قد انتقلت إلى حكاية الليالي إما ان تكون بصورة مباشرة، وإما غير مباشرة، أي عن طريق ورودها في حكايات أخرى سابقة لها.

ان الانتقال من العالم المعلوم إلى العالم الآخر، الأموات، تم في الأساطير مثل أي زيارة أو رحلة استجمام، وفي الحكاية التي تحاول أن تقترب من الواقع كحكايتنا، كسابقتها الأسطورة، تحتاج إلى سبب، وواسطة، والسبب هذا هو حاجة التاجر المغربي للكنز، والواسطة هو السحر.

يقول التاجر((اعلم أنني متى عزمت ألقيت البخور نشف الماء من النهر وبان لك باب...الخ))، ولفظة "عزمت"، وعبارة "القيت البخور" هي من أعمال السحر.

ان التحول الذي أصاب فكر الانسان وتحول من الفكر الأسطوري إلى فكر الخرافات، والحكايات، والسوالف، والحدوتات، قد مثلته هذه الأسطورة السومرية، والحكاية الألف ليلية، خير تمثيل، والاقتراب من الواقع شيئاً فشيئاً.

والبوابات تصنع من الخشب، أو من الحديد، على الرغم من ان مدون الأسطورة، أو الحكاية، لم يذكر ذلك، إلا ان أكثر الحكايات في ألف ليلة وليلة، وفي سوالف الجدات، والحدوتات، تذكر ان مثل هذه البوابات التي تخفي شيء ما، مصنوعة من الحديد، ومقفلة بإحكام.

والبوابات هذه هي مدخل ومخرج لشخص يبحث عن شيء ما، لنقل انه الحقيقة، الحقيقة التي تأتي بعد قتل شخص ما، أو بعد ايجادها.

نجد ان هذا النظام السبعي، العدد سبعة، وتركيباته العشرية، والمؤية، والألفية، له حيز واسع في الفكر الانساني، وبصورة تراكمية.

ففي الدين والفكر اليهوديين، نجد ان خلق العالم تم في ستة أيام وارتاح الله في اليوم السابع، لذا أصبحت أيام الأسبوع سبعة.

وفى الدين والفكر المسيحيين، يمثل الرقم سبعة اتحاد أركان الأرض الأربعة مع الثالوث المقدس. كما يظهر الرقم سبعة فى رؤية يوحنا "سبع كنائس، سبع ملائكة، سبعة أختام، سبعة أبواق، وسبع نجوم".

وفي الدين والفكر الاسلاميين، بعد أن تراكمت المعلومات عن الرقم سبعة، نجد أن أغلب الأشياء والأمور والطقوس تأخذ العدد سبعة في التكرار. مثل: خلق الكون في ستة أيام وفي اليوم السابع استوى الخالق على العرش. وخلق الإنسان في سبعة أطوار. وعدد طبقات السماء سبعة. وعدد طبقات الأرض سبعة. وأبواب النار كذلك. وأبرهة الحبشي الذي حاول هدم الكعبة بجيش تقدمته سبعة أفيال. والطواف حول الكعبة سبع مرات. والسعي بين الصفا والمروة سبعة. وعدد الجمرات التي يرمئ بها الشيطان في الحج كذلك. يضاف له عند العرب الملعقات السبعة. وغير ذلك من هذا النظام، لأن العدد سبعة مقدس عندهم كباقي شعوب العالم.

وفي الفكر الانساني كذلك، حيث نجد الرقم سبعة في البوذية، كالأفيال السبعة حارسة معبد الآلهة المقدسة حسب العقيدة البوذية القديمة.وبوذا خطا سبع خطوات عند مولده، ثم سار سبع سنين بحثاً عن الحقيقة حتى وجدها في زهرة اللوتس المقدسة ذات السبع ورقات، والتي يتخذها البوذيون رمزاً للتفاؤل.

والرقم سبعة لدى المصريين القدماء مهماً جداً، حيث هرم سقارة المُدرج بسبع درجات.وأيامُ الخلق سبعة. وسلّم

الصعود إلى عرش الإله سبعة. ورقم سبعة رمز الأبدية عند المصريين القدماء.

وكذلك نجد ان عدد أيام الاسبوع سبعة. وعجائب الدنيا كذلك،والوان طيف المطر سبعة. وعدد البحار سبعة. وعدد القارات سبعة. وأيام "سبوع" الطفل سبعة، والميت يقدمون انواع الطعام كثواب له سبعة أيام. وهكذا.

إذن هذه "البوابات السبعة" هي ثيمة قديمة يحملها الفكر الأسطوري، والخرافي، والحكائي، في كل الأدبيات القديمة والحديثة في الفكرالعالمي. وفي وقتنا الحاضر نستعمل الرقم سبعة في بعض أمثالنا الدارجة على الألسن مثل: "من سابع المستيحلات"، إذا أرادوا أن يصفوا حدوث شيء بالاستحالة الشديدة اضافة للثلاثة المعروفة التي جمعها الشاعر صفي الدين الحلي في بيت شعري. إذ قال:

لما رأيت بني الزمان وما بهم ... خل وفي للشدائد اصطفي
فعلمت أن المستحيل ثلاثة ... الغول والعنقاء والخـل الوفي

ان ثيمة "الأبواب السبعة، وقتل المرأة/الآلهة/الأم" السومرية انتقلت إلى أن وصلت إلى حكايات ألف ليلة وليلة، حيث مرت من الأسطورة إلى الحكاية "الخرافية خاصة"، أو"السالفة"، أو"الحدوتة"، وقد دونت في الليالي لتكون شاهداً على كيفية انتقال الفكر من الأسطوري إلى الواقعي المشبع بالخرافة واللامعقول.

والسبب نفسه نراه في الأسطورة الرافدينية "السومرية والبابلية". اذ نرى دخول أينانا أو عشتار إلى العالم السفلي ومرورها بالأبواب السبعة، ومن ثم موتها، وعودتها حية، وارسال تموزي كبديل لها إلى العالم السفلي، نجده في الحكاية الألف ليلية مع بعض الاختلافات.

نخلص من هذا، ان الفكر الذي كان يقف وراء الفكر الذي أوجد حكايات ألف ليلة وليلة، وهو فكر جمعي،

تراكمي، كان متأثرا بالفكر الرافديني، ان كان ذلك التأثر بصورة مباشرة، أو كان بصورة غير مباشر.

***

المصادر:

١. ألف ليلة وليلة – منشورات دار التوفيق – بيروت- الأجزاء (٤، ٥، ٦).
٢. قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية – د.نبيلة إبراهيم- دار العودة- بيروت- ١٩٧٤.
٣. الإسلام والجنس – د.عبد الوهاب بوحديبه- ترجمة: هالة العوري- مكتبة مدبولي (ب-ت).
٤. اسخيلوس وأثينا – جورج تومس- ترجمة: د.صالح جواد كاظم- وزارة الإعلام/ بغداد- ١٩٧٥.
٥. القصص الشعبي العراقي في ضوء المنهج المورفولوجي – داود سلمان الشويلي- الموسوعة الصغيرة- وزارة الثقافة والإعلام- ١٩٨٦..
٦. التفسير النفسي للأدب- د.عز الدين اسماعيل- دار العودة- بيروت- ١٩٨١.
٧. السراب- نجيب محفوظ – دار مصر للطباعة- ط/٦.
٨. راجع كتابنا: الذئب والخراف المهضومة – دراسات في التناص الابداعي – دار الشؤون الثقافية العامة- ٢٠٠١.
٩ . منعطف المخيلة البشرية- بحث في الأساطير- صموئيل هنري- ت:صبحي حديدي- ط١، اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ١٩٨٣م.

***

صدر للمؤلف:

١ – القصص الشعبي العراقي من خلال المنهج المورفولوجي – دراسة – بغداد – دار الشؤون الثقافية العامة -١٩٨٦ .

٢ - أبابيل – رواية – بغداد – دار الشؤون الثقافية العامة- ١٩٨٨.

٣ - طائر العنقاء – قصص قصيرة – بغداد – دار الشؤون الثقافية العامة- ١٩٨٨.

٤ - طريق الشمس – رواية – بغداد – دار الشؤون الثقافية العامة -٢٠٠١.

٥ - الف ليلة وليلة وسحر السردية العربية – دراسات – ط١ - اتحاد الكتاب العرب – دمشق – ٢٠٠٠.

٦ - الف ليلة وليلة وسحر السردية العربية – طبعة ثانية مزيدة ومنقحة – معهد الشارقة للتراث – الشارقة - ٢٠١٩.

٧- الف ليلة وليلة وسحر السردية العربية – طبعة ثالثة مزيدة ومنقحة –دار الورشة – بغداد - ٢٠٢٠.

٨- الذئب والخراف المهضومة – دراسات في التناص الابداعي – بغداد – دار الشؤون الثقافية العامة- ٢٠٠١.

٩ – الجنس في الرواية العراقية – دراسات - دار المتن للطباعة والنشر – ٢٠١٨.

١٠ - أوراق المجهول - رواية – دار المتن للطباعة والنشر – ٢٠١٩.

١١ – التشابيه – رواية – مطبعة الحسام – ذي قار– ٢٠١٩.

١٢ – نخلة خوص سعفها كثيف – رواية – دار فنون – القاهرة – ٢٠٢٠.

١٣ - القصص الشعبي العربي – دراسات وتحليل – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد-٢٠٢٠.
١٤ - رؤى الأسلاف "قراءة في الأساطير" – دار الورشة – بغداد - ٢٠٢١.
١٥- الكمامة البيضاء والقفاز الازرق – رواية – شركة مانديلا للنشر والاعلان – تشاد – ٢٠٢١.
١٦- الأمثال الشعبية العراقية كما تضرب في الناصرية – مطبعة الحسام – ذي قار – ٢٠٢١.
١٧ – رؤى تشكيلية – قراءة في الخطاب التشكيلي العراقي والعربي – الكتاب الأول - مطبعة الحسام – ٢٠٢١.
١٨ – رؤى تشكيلية – تشكيل وشعر – الكتاب الثاني - مطبعة الحسام – ذي قار – ٢٠٢١.
١٩ – شاهد من الشعر العامي الحديث – مطبعة الحسام – ذي قار – ٢٠٢١ .
٢٠ – تجليات الأسطورة – قصة يوسف بين النص الاسطوري والنص الديني. دار ابن النفيس – الاردن – ٢٠٢١.

***

شارك في المجاميع القصصية التالية:

١ - النهر يجري دائما – نصوص ابداعية فائزة في المسابقة الابداعية لوزارة الثقافة لعام ٢٠٠٠ – مع مجموعة من الأدباء - بغداد – دار الشؤون الثقافية العامة – ٢٠٠٠ .
٢– ترانيم الحرف – قصص قصيرة جداً – مشترك - دار المتن للطباعة والنشر – ٢٠١٨.
٣- ترجمت بعض قصصه إلى اللغة الانكليزية وصدرت في كتاب "ظلال سومرية" للق.ق.ج.

٤ – أنطولوجيا القصة القصيرة جدا العراقية المعاصرة – اعداد عبد الزهرة عمارة – ج١ – دار أمازجي للطباعة والنشر – ٢٠٢٠.

***

شارك مع مجموعة من النقاد في الكتب التالية:

١ – كيف نكتب رواية ناجحة – من أعداد الروائي كاظم الشويلي – ٢٠١٩.

٢ - مفتتح خيارات الأسماء لكائنات سجال الركابي – تحرير اسماعيل ابراهيم عبد – مع مجموعة من النقاد – ٢٠١٩ .

٣ – فن الرواية في سرديات زيد الشهيد – تقديم واعداد د. فوزية لعيوس الجابري - مع مجموعة من النقاد – ٢٠١٩.

٤ – الخطاب الثائر لسانيا ونقديا – اعداد د. خالد حوير الشمس – ٢٠٢٠ .

٥– ارتحالات عوليس- دراسات عن رواية قنزة ونزة – مع مجموعة من النقاد -٢٠٢٠.

٦ – الرحيق المستعاد – قراءات نقدية في شعر عبد الأمير خليل مراد – كامل حسن الدليمي – الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق – ٢٠٢١ .

***

كتب تحت الطبع:

- الخيانة العظمى – أشعار التوراة وجذورها العربية القديمة "مقاربة نقدية جديدة بين ترجمات الربيعي والنصوص التوراتية الرسمية".

- السقوط والصعود في القصص الشعبي "نحو منهج لدراسة القصص الشعبي".

***

- حصلت السيدة فاطمة فروزان (ايرانية الجنسية) عام ٢٠١٣، على درجة الماجستير عن دراستها وترجمتها لكتابي (ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية) من جامعة الامام الخميني العالمية في مدينة قزوين.

***

كتب جاهزة للطبع :

- احلام المغني الصغير – مجموعة قصصية.
- النخيل يموت واقفا – ق.ق.ج .
- كائنات تفكر - أنسنة الكائنات في القصص الشعبي العربي.
- تقشير البيضة – تشريح القصة الشعبية.
- الطبيعة في شعر أبي تمام. بحث لنيل شهادة الدبلوم العالي.
- ميتا القصيدة – قراءات في القصيدة العربية القديمة – دراسات.
- رشيد مجيد... إنساناً وشاعراً - دراسات منشورة في الصحف والمجلات العراقية.
- إشكاليات الخطاب النقدي الأدبي العربي المعاصر- دراسات أدبية.
- صياغات شعرية في كسر رتابة الشعر- "دراسة في شعر عباس ريسان".
- اسئلة السرد- (دراسات في القصة القصيرة والرواية).
- اسئلة الشعر - (دراسات في الشعر).
- ألهاوية – رواية.
- الخزاف الماهر – رواية.
- بستان الحاج عبود - رواية.
- الكتاب المفتوح – رحلتي إلى الاتحاد السوفيتي – أدب الرحلات.

***

الجوائز:

- الجائزة التقديرية عن قصة (الموت حياة) في المسابقة الابداعية لعام ١٩٩٢.
- الجائزة الاولى عن قصة (النهر يجري دائما) في المسابقة الابداعية لعام ٢٠٠٠.
- الجائزة الثالثة عن رواية (طريق الشمس) في مسابقة الرواية لعام ٢٠٠١ .
- الجائزة الثانية في مسابقة ماندیلا للرواية عن رواية (الكمامة البيضاء والقفاز الازرق) – ٢٠٢١.

***

المحتويات:

ت	الموضوع	رقم الصفحة
١	مدخل.	٥
٢	نص أسطورة الصياد جودر.	٨
٣	تفكيك النص.	١٣
٤	التطبيق.	٣٣
٥	(١) رواية "السراب" وعقدة جودر.	٣٧
٦	(٢)اسطورة جودر و"ما هي الحقيقة ؟".	٥٣
٧	(٣) القصة القصيرة جداً "عقوق" وأسطورة جودر.	٦٣
٨	(٤) الأسطورة السومرية "البوابات السبعة" وأسطورة جودر.	٧١
٩	المصادر.	٨١
١٠	صدر للمؤلف.	٨٢
١١	المحتويات.	٨٧

٨١٠ /٩
ش ٩٩٨ الشويلي، داود سلمان
اسطورة(جودر)العربية:دراسات نقدية / داود سلمان الشويلي – ذي قار – مطبعة الحسام، ٢٠٢١
٧٤ ص، ٢١ ×١٥سم
١ ٠ الأدب العربي - نقد . ٢ . العنوان
م.و.
٣٩٢٦ / ٢٠٢١
المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد(٣٩٢٦) لسنة ٢٠٢١